رِسالَة رُومية مُفَسَّرَةً عدداً بعدَ الآخر

(الجزءُ الثاني)

برنامج «في ظلال الكلمة»

بِقَلَم: القَسّ الدُّكتُور دِكْ وُودوُرد
تَرجَمَة: القَسّ الدُّكتُور بيار فرنسيس

All Rights Reserved

جميع الحقوق محفوظة

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف ولا يجوز إعادة نشر أو طبع هذا الكتاب بأي طريقة طباعية أو إلكترونية بهدف بيعها أو المتاجرة بها أو وضعها على شبكة الإنترنت إلا بإذن من الخدمة العربية للكرازة بالإنجيل. يمكنك أن تحتفظ بالكتب والمقالات للإستخدام الشخصي، كما يمكنك ان تنسخها لاجل توزيعها مجاناً لتعم الفائدة.

Mini Bible College

Study Booklet Thirty

The Book of Romans
Verse By Verse
(Part 2)

بَرنامج "في ظِلالِ الكلمة"

كُتَيِّب رَقَم ٣٠

رِسالَة رُومية مُفَسَّرَةً عدداً بعدَ الآخر
(الجزءُ الثَّانِي)

بِقَلم: القَسّ الدُّكتُور دِكْ وُودوُورد
تَرجمَة: القَسّ الدُّكتُور بيار فرنسيس

الفَصلُ الأوَّل
"مُقَدِّمَة لِلعيشِ الصَّحيح"

هذا هُوَ الكُتَيِّبُ الثَّانِي في سِلسِلَةٍ من أربَعةِ كُتَيِّباتٍ تُقدِّمُ تعليقاتٍ لأُولئكَ الذين سَمِعُوا برامِجَنا الإذاعيَّة التي تُعَلِّمُ رِسالَةَ بُولُس الرَّسُول إلى أهلِ رُومية، عدداً بعدَ الآخر. فإن لم يَكُنِ الكُتَيِّبُ الأوَّلُ بِحَوزَتِكَ، أُشَجِّعُكَ أن تتَّصِلَ بنا، وسوفَ نُرسِلُ لكَ نُسخَةً عنهُ. إذا أردتَ أن تَتَعَلَّمَ على نَفسِكَ، أو أن تُعَلِّمَ هذه الدِّراسَة لرسالَةِ رُومية لآخرين، سوفَ تحتاجُ إلى الكُتَيِّبِ الأوَّل بهدفِ توفيرِ الإستِمراريَّة والخَلفِيَّة. رُغمَ أنَّني قُمتُ في سلسِلَةِ البرامِجِ الإذاعِيَّة بِتَعليمِ رسالَةِ بُولُس الرَّسُول إلى أهلِ رُومية عدداً بعدَ الآخر، ولكنَّني في الكُتَيِّبِ الأوَّل لخَّصتُ أوَّلَ أربَعِ إصحاحاتٍ من هذه الرِّسالَة، وفي هذا الكُتَيِّب أُلَخِّصُ الإصحاحاتِ الأربَعة التَّالِيَة (٥- ٨) من تُحفَةِ بُولُس الرَّسُول اللاهُوتيَّة هذه.

في الإصحاحاتِ الأربَعة الأُولى من هذه الرِّسالَة، يربِطُ بُولُس التَّبرير بالخاطِئ. ويستَنتِجُ أنَّنا جَميعاً خُطاة، ولكنَّهُ يُتبِعُ هذه الأخبارَ السَّيِّئَة بأخبارٍ سارَّة، أنَّ اللهَ بَرَّرَ أو أعلنَ بارَّاً كُلَّ من يُؤمِنُ بهِ، عندما أعلنَ ما عَمِلَهُ من أجلِنا من خلالِ يسُوع المسيح. خُلاصَةُ هذه الإصحاحاتِ الأربَعة ستُوجَدُ بالحقيقَةِ في العددِ الإفتِتاحِيِّ من الإصحاحِ الخامِس: "فإذ قد تبَرَّرنا بالإيمان، لنا سلامٌ معَ اللهِ بِرَبِّنا يسُوع المسيح."

في الإصحاحاتِ الأربَعة التَّالِيَة، أي من ٥ إلى ٨، يَربِطُ بُولُس التَّبريرَ بأُولئكَ الذين أُعلِنُوا أبراراً بإيمانِهِم بما عمِلَهُ يسوعُ المسيحُ لأجلِهم على الصَّليب. فالخُطاةُ الذين أُعلِنُوا أبراراً من قِبَلِ الله، لا يعيشُونَ بعدُ كَخُطاةٍ، بل ينبَغي أن يَعيشُوا حياةً صحيحَةً مُستَقيمَة. ولكن كيفَ نعمَلُ ذلك؟ فهل إنتُزِعَت طبيعَتُنا الخاطِئة عندما آمنَّا بيسُوع المسيح مُخَلِّصاً لنا؟ وأينَ نستَطيعُ أن نَجِدَ القُوَّةَ الدِّينامِيكيَّةَ لنَحيا حياةَ البِرّ، أو لنعيشَ بإستِقامَة؟

يُجيبُ بُولُس على هذه الأسئِلة في الإصحاحاتِ الأربَعة التَّالِيَة، ويبدَأُ جوابَهُ بالعَدَدِ الثَّاني منَ الإصحاحِ الخامِس من رِسالَةِ رُومية، حيثُ يكتُبُ قائِلاً، "الذي بِهِ أيضاً قد صارَ لنا الدُّخُولُ إلى هذه النِّعمَة التي نحنُ فيها مُقيمُون، ونَفتَخِرُ على رَجاءِ مَجدِ الله." فنحنُ نتبرَّرُ بالإيمانِ من خلالِ

يسُوع المسيح. وبالإيمانِ يَصيرُ لنا وُصُولٌ إلى النِّعمة التي تُمَكِّنُنا منَ الوُقُوفِ في يسُوع المسيح، ولأجلِهِ ومعَهُ. عندما نتعلَّمُ كيفَ نعمَلُ ذلكَ، عندَها في هذا العالمِ الخاطِئ، وبِدُونِ أن نَكُونَ عبيداً للخَطيَّة، بإمكانِنا أن نعيشَ حياةً تُمَجِّدُ الله.

في دِراسَتِنا الأُولى، إذ كُنتُ أُلَخِّصُ كِتَيِّبَنا الأوَّل، تعلَّمْنا أنَّ الإنجيلَ هُوَ ذُو وجهَين حِيَالَ يسُوع المسيح: مَوتُهُ وقيامَتُهُ. فبالإيمانِ بالحقيقَةِ الأُولى عنِ الإنجيل نتبَرَّرُ ونتصالَحُ لنَصِلَ إلحالَةِ سلامٍ معَ الله. عندما كتبَ بُولُس أنَّنا لَدَينَا وُصُولٌ بالإيمانِ إلى النِّعمة، كانَ يُوجِّهُنا لنَضَعَ إيمانَنا في الحقيقَةِ الثَّانِيَة للإنجيل، والتي هي قيامَةُ يسُوع المسيح.

الكَلِمَةُ التي إستَخدَمها بُولُس هُنا والمُستَخدَمَة للإشارَةِ إلى "نعمَة" هي كلمة "خارِيس" في اللُّغَةِ اليُونانِيَّة. فنِعمَةُ اللهِ ليست فقط بَرَكَة ورحمة الله التي لا نَستَحِقُّها ولا نكسَبُها ولا نُحَقِّقُها بجُهُودِنا الذَّاتِيَّة. بَل نِعمَةُ اللهِ هي حَياةُ وقُوَّةُ اللهِ العامِلَة فينا ومن خلالِنا. عندما تَعمَلُ النِّعمَةُ فينا ومن خلالِنا، تُستَخدَمُ الكلمة اليُونانِيَّة "خاريسما."

النِّعمَةُ المُدهِشَة

في عددٍ آخر عن النِّعمَة، خَطَّهُ قَلَمُ الرَّسُول بُولُس، نقرأُ: "واللهُ قادِرٌ أن يَزيدَكُم كُلَّ نِعمَةٍ، لِكَي تَكُونُوا ولَكُم كُلُّ إكتِفاءٍ كُلَّ حِينٍ في كُلِّ شَيءٍ، تزدادُونَ في كُلِّ عَمَلٍ صالِح." هذا أكثَرُ عَدَدٍ في الكتابِ المُقدَّس يتكلَّمُ بإسهابٍ عن نعمةِ اللهِ المُتَوفِّرَة لِشعبِهِ. (٢كُورنثُوس ٩: ٨).

بِحَسَبِ بُولُس الرَّسُول، اللهُ قادِرٌ أن يُغدِقَ عليكُم كُلَّ نِعمَة (وليسَ شَيئاً منَ النِّعمَةِ فحَسب)، بِفَيضٍ (وليسَ بِتَعيير)، نحوَكُم (وليسَ فقط مشاهير الوُعَّاظ والقُسُوس والمُرسَلين، بل لكُم شَخصِيَّاً)، لِكَي تَكُونُوا (يُكَرِّرُ بُولُس هذا الضَّميرَ المُخاطَب للتَّشديد)، دائماً (وليسَ أحياناً)، ولكُم كُلُّ إكتِفاءٍ (وليسَ بعضَ الإكتِفاء)، في كُلِّ شَيءٍ (وليسَ في بعضِ الأشياء)، تزداوُدُونَ (وليسَ بالكادِ تَتَدَبَّرُون)، في كُلِّ عَمَلٍ صالِحٍ (وليسَ بعضُها).

بالإختِصار: كُلّ نعمَة، كُلّ فَيض، كُلّ حين، كل وقت، كُلُّكم، أي كُلّ واحدٍ منكُم، كُلّ إكتِفاء، كُلّ شَيء، كُلّ حين، كُلّ زيادة في كُلِّ عمَلٍ صالِحٍ

يُريدُ اللهُ أن يعمَلَهُ من خلالِكُم! كَنيسَةُ العهدِ الجديد قلَبَت العالَمَ رأساً على عَقِب، لأنَّ المُؤمنينَ فيها آمنُوا وإختَبَرُوا الحقَّ الذي أعلَنَهُ بُولُس في هذا العدد غير الإعتِيادِيّ عن نعمَةِ اللهِ المُدهِشَة.

هل تتوفَّرُ هذه النِّعمة للمُؤمِنينَ اليَوم؟

سَمِعتُ مرَّةً المُفَسِّرَ الشَّهير للكتابِ المُقدَّس Dr. A. W. Tozer يَقُولُ، "عندما تقرَأُ العهدَ الجديد وتَنظُرُ إلى كَنائِسِنا اليَوم، لا يَسَعُكَ إلا أن تُفَكِّرَ بأنَّ اللهَ لم يُحسِن حملَتَهُ الدِّعائِيَّة في العهدِ الجديد." فبما أنَّ أَفْعَلِ التَّفضِيلِ التي إستَخدَمها بُولُس في العددِ الذي أشَرتُ إليهِ أَعلاه صحيحَة، كيفَ نُفَسِّرُ نقصُ الكاريزما الدِّيناميكيَّة في كنائِسنا اليوم؟

سَمِعتُ مرَّةً راعي كنيسة يَقُولُ، "عندما سَيرجِعُ الرَّبُّ، سوفَ يَكُونُ أعضاءُ كَنيستِي أوَّلَ القائِمينَ منَ الأموات، لأنَّ العَهدَ الجديدَ يُعَلِّمُ أنَّ الأمواتَ في المسيح سيقُومُونَ أوَّلاً." راعي كنيسة آخر كانَ يُعانِي من هذا النَّقصِ ذاتِهِ في الدِّيناميكيَّةِ الرُّوحيَّة في كنيستِهِ، وصفَ عجزَ أعضاء كنيستِهِ رُوحيَّاً كالتَّالي: "كُنْ مُستَعِدَّاً، قِفْ، ولا تنطَلِقْ."

قالَ اللهُ للرَّسُول بُولُس، "تَكفيكَ نِعمَتِي." يبدُو مُناسِباً، على ضَوءِ فقرِ الدَّم الرُّوحِيّ في العديدِ من كنائِسِنا اليَوم، أن نُتبِعَ هذا التَّصريحَ أعلاهُ بالسُّؤال: "صَح أم خطأ؟" علينا أن نستَنتِجَ أنَّ النِّعمَةَ مُتَوفِّرَةٌ لنا اليَوم، ولكن ليسَ لنا وُصُولٌ إلى هذه النِّعمة. لَرُبَّما نحنُ لا نَعرِفُ كيفَ نصِلُ إلى نعمَةِ اللهِ اليَوم. أو لَرُبَّما لم نَعُدْ نُؤمِنُ بِنِعمَةِ الله.

يبدَأُ بُولُس مجمُوعَةَ الإصحاحات ٥ إلى ٨ من هذه الرِّسالَة، بالقَولِ أنَّ الذينَ أُعلِنُوا أبراراً يُمكِنُهُم أن يَعيشُوا حياةً صحيحَةً مُستَقيمَةً، إن كانَ لدَيهِم الإيمانُ للوُصُولِ إلى نعمَةِ الله. ولقد كتبَ يَقولُ أنَّهُ إن كانَ لدَيهِم الإيمانُ، وإن كَانُوا يَعرِفُونَ كيفَ يَصِلُونَ إلى نعمَةِ الله، فسَيَكُونُ بإمكانِهِم أن يَقِفوا في المسيحِ في وسطِ عالَمٍ خاطِئ. وسيَكُونُ بإمكانهم أن يفرَحُوا برجاءِ عيشِ حياةٍ تُمَجِّدُ الله. يُقدِّمُ هذا لمَوضُوعِ الإصحاحاتِ الأربَعة التَّالِيَة (٥- ٨)، والذي يَتمحوَرُ بشكلٍ أساسيٍّ حولَ كيفَ يستَطيعُ الخُطاةُ الذين أُعلِنُوا أبراراً من اللهِ أن يَصِلُوا إلى نِعمَةِ اللهِ، لكَي يعيشُوا حياةً مُستَقيمَةً ويُمَجِّدُوا الله.

إفرَحُوا في ضيقاتِكُم

يُعطينا بُولُس نظرتَهُ الثَّانِيَة عن كيفَ نَصِلُ إلى نِعمَةِ اللهِ، عندما يُشَجِّعُ المُؤمنينَ في رُوما، وأنتَ وأنا بالطَّبع، على أن نفرَحَ في ضيقاتِنا. ولكن لماذا يُشَجِّعُنا بُولُس على الفَرَحِ في ضيقاتِنا وآلامنا؟ وما هي علاقَةُ الفَرَحِ في ألَمِنا معَ وُصُولِنا إلى النِّعمَة؟

كتبَ بُولُس يَقُولُ أنَّنا علَينا أن نفرَحَ في آلامِنا، لأنَّ اللهَ أحياناً يستَخدِمُ ألَمَنا ليَدفَعَنا إلى الوُصُولِ إلى النِّعمَة المَوصُوفَة والمَنصُوح بها في ذلكَ العدد الشَّهير الذي قرأناهُ من رسالَتِهِ الثَّانِيَة إلى أهلِ كُورنثُوس. فالنِّعمَةُ مُتَوَفِّرَةٌ لكُلِّ تلميذٍ حقيقيٍّ ليسُوع المسيح.

ولكن كيفَ يشعُرُ اللهُ عندما يرانا نُصارِعُ لنعيشَ كما ينبَغي في هذا العالم، عالِماً أنَّهُ وفَّرَ لنا طريقَةً للوُصُولِ إلى النِّعمَةِ التي نحتاجُها، وأن ليسَ لنا وُصُولٌ إلى النِّعمَة؟ بعدَ أن كتبَ بُولُس أنَّهُ بإمكانِنا أن نَصِلَ إلى نِعمَةِ اللهِ بالإيمان، عندما يَحُضُّنا للمرَّةِ الثَّانِيَةِ بأن نفرَحَ، يُعلِمُنا بطريقَةٍ ثانِيَةٍ للوُصُولِ إلى نِعمَةِ الله. علينا أن نفرَحَ لأنَّ نِعمَتَهُ تُؤَهِّلُنا لنُمَجِّدَهُ بالعَيشِ الصَّحيح، وعندما يستَخدِمُ اللهُ الألَم ليُقدِّمَ لنا عَرضاً لا يسَعُنا رفضُهُ.

تُوجَدُ درجاتٌ منَ الآلامِ، التي لا نستطيعُ إحتِمالَها بِدُونِ نِعمَةِ الله. عندما يَدفَعُنا ألَمُنا إلى ما وراءِ حدُودِ الإحتِمالِ البَشَرِيَّةِ الكامِنَةِ فينا، تُصبِحُ أوقاتُ التَّجارِبِ القاسِيَة هذه فُرصَةَ اللهِ ليُوفِّرَ لنا نعمَتَهُ. عَبَّرَ أحدُ المُرَنِّمينَ الأتقياء عن هذه الحقيقَة بالطَّرِيقَةِ التَّالِيَة:

"يُعطينا نعمَةً زائدة عندما يزدادُ الحِملُ أكثر
يُرسِلُ قُوّةً مُضاعَفَةً عندما يُصبِحُ العَملُ أكبر
كُلَّما إزدَادَتِ المَلَمَّاتُ، زادَ رحمَتَهُ العظيمة
كُلَّما تفاقَمَتِ الآلامُ، ضاعَفَ لنا سلامَهُ

عندما نستَنفِذُ طاقَتَنا على الإحتِمال
عندما تَخُورُ قُوَّتُنا ويأفُلُ نهارُنا

عندما تنضُبُ منابِعُنا البَشَريَّة
عندَها يبدَأُ أبانا السَّماوِي بالعَطاء

محبَّتُهُ ليسَ لها حدُود
نعمَتُهُ ليسَ لها قِياس
قُوَّتُهُ لا يَعرِفُ حَدُّها بَشَرٌ
لأنَّهُ من غنى المسيح الذي لا يُستَقصَى
يُعطي ويُعطِي ويُعطِي بِدُونِ توقُّف.

عندما نختَبرُ تلك َالنِّعمة علينا أن نفرَحَ بالألم الذي قادَنا لتحقيقِ هذا الإكتِشاف. في الأعدادِ الثَّلاثَةِ التَّالِيَة، يَصِفُ بُولُس هذه العمليَّة: "ولَيسَ ذلكَ فقَط بَل نَفتَخِرُ في الضِّيقاتِ عالِمِينَ أنَّ الضِّيقَ يُنشِئُ صَبراً والصَّبرُ تزكِيَةً والتَّزكِيَةُ رجاءً. والرَّجاءُ لا يخزِي لأنَّ محبَّةَ اللهِ قدِ إنسَكَبَت في قُلُوبِنا بالرُّوحِ القُدُسِ المُعطَى لنا." (رُومية ٥: ٣- ٥).

يُخبِرُنا بُولُس في هذه الأعداد أنَّ إرادَةَ اللهِ لن تَقُودَنا أبداً إلى حَيثُ لا تستطيعُ نعمَةُ اللهِ أن تحفَظَنا. ولكنَّ إرادَةَ اللهِ غالِباً ما تَقُودُنا إلى حيثُ تستطيعُ نِعمَتُهُ أن تحفَظَنا. كَثيراً ما تظهَرُ هذه الحقيقَةُ في إختِباراتِنا للألَم. يكتُبُ بُولُس قائِلاً أنَّ "الألَمَ يُنتِجُ." فعندما لا نستَطيعُ أن نتحمَّلَ ألَمنا، فنُطالِبُ اللهَ بأن يُعطِيَنا قياسَ النِّعمَةِ الذي ينبَغي أن نتحلَّى بهِ، تنتُجُ فَضِيلَةٌ رُوحِيَّةٌ فينا، يُعَبَّرُ عنها هُنا بكلمة "صَبر،" وهي باليُونانِيَّة: Hupo-mone. تتألَّفُ هذه الكلمة من جزئَينِ يعنِيان: "البَقاء تَحت."

تُوجَدُ أوقاتٌ نجدُ فيها أنفُسَنا في أماكِنَ صَعبَة، وعندما نصرُخُ للرَّبِّ طَلَباً للإنقاذ، يُجيبُ صلاتَنا، ويُنقِذُنا من هذه الأماكن الصَّعبَة. ولكن تُوجدُ أوقاتٌ أُخرى حَيثُ لا يُنقِذُنا بل يمنَحُنا النِّعمَة للبقاءِ تحتَ ضُغوطاتِ مشاكِلِنا.

طَلَبَ بُولُس منَ الفِيلِبِّيِّين أن يُصَلُّوا لكَي يُمنَحَ لهُم من السِّجنِ، أي أن يُحَرَّرَ ويُرسَلَ إليهِم. ولكنَّ بُولُس كانت لدَيهِ مُشكِلَة وصفَها بأنَّها "شَوكَة في الجَسد،" وأنا مُقتَنِعٌ أنَّها كانت مُشكِلَةً صِحِّيَّةً. باليُونانِيَّة، قالَ بُولُس حرفِيَّاً للغَلاطِيِّين أنَّ مُشكِلَةَ عينِهِ كان يصعُبُ على النَّاظِرِ أن ينظُرَ إليها بدُونِ أن

يشعُرُ بالقَرَف. عندما دخَلَ غلاطية أوَّلاً، مُنِعَ منَ الرُّوحِ أن يدخُلَ آسيا. في تلكَ النُّقطَة المفصَلِيَّة من رحلَتِهِ التَّبشيريَّة، إنضَمَّ إليهِ طَبيبُهُ المَحبُوب لُوقا، الذي كتبَ سفرَ الأعمال، وغَيَّرَ الضَّميرَ من الغائِبِ الجمع "هُم" إلى المُتَكَلِّمِ الجَمع "نحنُ." (غلاطية ٤: ١٥؛ ٦: ١١؛ أعمال ٩: ٨، ١٨؛ ١٦: ٦، ١٠). فلقد طلَبَ منَ اللهِ ثلاثَ مرَّاتٍ أن يُحَرِّرَهُ من هذا المرَض. فأجابَ اللهُ قائِلاً لبُولُس أنَّهُ لن يُحَرِّرَهُ، بل سيُعطِيهِ النِّعمة "ليَبقَى تحتَ" المُشكِلَة (٢كُورنثُوس ١٢: ٧- ١٠). يعرِفُ بُولُس من الإختِبار الشَّخصِيّ ما يَصِفُهُ وينصَحُ بهِ هؤلاء المُؤمنينَ في رُومية.

ويكتُبُ بُولُس قائِلاً أنَّ الأمرَ يعمَلُ بالطريقَةِ التَّالِيَة: عندما يُعطينا اللهُ نعمَةَ تحمُّلِ العَيش معَ مشاكِلِنا، تتطوَّرُ نَوعيَّةٌ منَ الصَّبرِ في شخصِيَّتِنا، التي تُصبِحُ بُعداً حَيَوِيّاً لمن وما نحنُ في المسيح. يُقالُ أنَّ البُرتُقالَة تُصبِحُ بُرتُقالَة، لأنَّها بِبَساطَةٍ تثبُتُ في مكانِها إلى أن تُصبِحَ بُرتُقالَة. بِحَسَبِ بُولُس، هذا المُستَوى منَ الصَّبر يُنتِجُ تَزكِيَةً، والتَّزكِيَةُ رجاءً. ثُمَّ يكتُبُ بُولُس قائِلاً أنَّ الرَّجاءَ لا يُخزِي. (رُومية ٥: ٥) وهُوَ يقصُدُ أنَّ التِّلميذَ الذي سيتحلَّى بهذه الشَّخصِيَّة المُختَبَرَة، لن يترُكَ مكاناً صَعباً، كما ترَكَ يُوحَنَّا مرقُس عائداً إلى مَنزِلِهِ، عندما تعرَّضَ معَ بُولُس والآخَرِينَ للإضطِّهادِ في الرحلة الإرساليَّة الأُولى (أعمال ١٥: ٣٧- ٤٠).

خلالَ زِيارَتي لمُرسَلينَ على الحُدُودِ بينَ باكستان وأفغانِستان عام ١٩٧٧، تعلَّمتُ أنَّ إحدَى أكثَر المُؤهِّلات أهمِّيَّةً التي يطلُبُها قادَةُ الجمعيَّات الإرساليَّة في المُرشَّحِينَ للعمَلِ الإرساليّ، هي ما يُمكِنُ تَسمِيَتُهُ، بالبقاءِ أو الإلتِصاق." أي القُدرَة على البَقاء في المكانِ الذي يضَعُكَ اللهُ فيه. فهل بإمكانِكَ أن تذهَبَ إلى حضارَةٍ أجنَبِيَّة، كبعضِ الأطِبَّاء المُرسَلين الذين إلتَقَيتُهُم في تلكَ الحضارَة الصَّعبَة، وأن تبقَى لمُدَّةِ خمسة عشر عاماً، أو عشرين أو خمسة وعشرين عاماً؟ وهل بإمكانِكَ أن تحيا حياةَ التَّشبُّهِ بالمسيح في تلكَ المناطِق، بِطريقَةٍ تُصبِحُ فيها حياتُكَ تفوحُ منها رائحَةُ المسيح الزَّكِيَّة، وتُعَبِّرُ عن بشارَةٍ لا يُمكِنُ إنكارُها عن إنجيلِ المسيح، لأشخاصٍ عدائِيِّينَ ضدَّ المسيح وأتباعِهِ؟

تبحَثُ المُؤَسَّساتُ الإرساليَّة عن مُرَشَّحِينَ لدَيهم تلكَ النَّوعِيَّة في شَخصِيَّاتِهِم، لأنَّهُم يعلَمُونَ أنَّهُ لكَي تكُونَ مُرسَلاً طَويلَ الأمد ومُثمِراً في

حضارَةٍ أجنَبِيَّة، إحدى المُؤَهِّلاتِ التي ينبَغي أن تتحلَّى بها هي الصَّبر أو المُثابَرَة. مُعظَمُ العمَلِ الإرساليّ لا يقتَصِرُ على مُجَرَّدِ الوعظ، بل على تحدِّي العَيش في المسيح في حضارَةٍ تختَلِفُ تماماً عن حضارَتِكَ، إلى أن يرى النَّاسُ الذين تُحاوِلُ تبشيرَهُم "المسيحَ في جَسَدِكَ المائِت،" إذا أردنا أن نستَخدِمَ كَلِمات أعظَم مُرسَل في تاريخِ الكنيسة (٢كُورنثُوس ٤: ١١).

ثُمَّ يَصِفُ إختِبارَ تلميذٍ إمتُحِنَ وتبرهَنَ ثباتُهُ بالإضطِّهاد، عندما يكتُبُ قائِلاً أنَّ "محبَّة الله قدِ إنسَكَبَت في قُلُوبِنا بالرُّوحِ القُدُس المُعطَى لنا. قد تَكُونُ هذه طريقَةٌ أُخرى لوَصفِ ما قصدَهُ بُولُس في مكانٍ آخر بكَونِ المُؤمن مَملُوءاً منَ الرُّوحِ القُدُس (أي مُقاداً منهُ). (أفسُس ٥: ١٨) قد يكُونُ هذا أيضاً ما وصفَهُ يسُوعُ في آخرِ مواقِفِهِ المُبارَكَة، عندما منحَ بَرَكَةً لأُولئكَ الذين يُضطَّهَدُونَ من أجلِ البِرّ (متَّى ٥: ١٠).

هل بإمكانِكَ أن ترى لماذا قالَ بُطرُس أنَّهُ علينا أن نفرَحَ في الضِّيقاتِ، لأنَّها تُنتِجُ ثماراً؟ فالضِّيقُ يُنشِئُ صَبراً، والصَّبرُ تزكِيَةً، والتَّزكِيَةُ رجاءً، (أي "إلتِصاق")، أو الصَّبر الطَّويل الأناة، الذي لا يستَسلِمُ ويهرُبُ منَ المنارَةِ التي وَضَعنا عليها ستراتيجيَّاً المسيحُ الحَيُّ المُقامُ، لنُنِيرَ في وسطِ العالَمِ المُظلِم. عندها يملأُ اللهُ هكذا تلميذ بمحبَّتِهِ، التي هي ثَمَرَةُ أو بُرهانُ الحقيقَةِ الجميلة أنَّ الرُّوحَ القُدُس يُسَيطِرُ على حياةِ تلميذِ يسُوع.

"لأنَّ المسيحَ إذ كُنَّا بَعدُ ضُعفاءَ ماتَ في الوَقتِ المُعَيَّن لأجلِ الفُجَّار. فإنَّهُ بالجَهدِ يَمُوتُ أحدٌ لأجلِ بارٍّ. رُبَّما لأجلِ الصَّالِحِ يجسُرُ أحَدٌ أيضاً أن يَمُوت. ولكنَّ اللهَ بَيَّنَ محبَّتَهُ لنا، لأنَّهُ ونحنُ بَعدُ خُطاةٌ ماتَ المسيحُ لأجلِنا. فبالأولى كَثيراً ونحنُ مُتَبَرِّرُونَ الآنَ بِدَمشهِ نخلُصُ بهِ منَ الغَضَب. لأنَّهُ إن كُنَّا ونحنُ أعداءٌ قد صُولِحنا معَ اللهِ بمَوتِ إبنِهِ، فبالأولى كَثيراً ونحنُ مُصالَحُونَ نخلُصُ بحياتِهِ. وليسَ ذلكَ فقط بل نفتَخِرُ أيضاً باللهِ بِرَبِّنا يسُوع المسيح الذي نِلنا بهِ الآنَ المُصالَحَة." (رُومية ٥: ٦- ١١)

يرجِعُ بُولُس بِسُرعَةٍ الآنَ إلى تَشديدِهِ على حقيقَةِ الإنجيل الأُولى، عندما يقُولُ أنَّ محبَّةَ اللهِ هي غَير إعتِيادِيَّة، لأنَّ اللهَ أحَبَّنا بموتِ المسيح ومن خلالِه، ونحنُ بعدُ أثَمَة، خُطاة، وأعداء الله. فالحقيقَةُ المَهُوبَة أنَّ اللهَ أحبَّنا (وهُوَ يُحِبُّنا الآن) بالمسيح، توضِحُ لنا تماماً أنَّنا كُنَّا ولا نزالُ غير مُستَحِقِّينَ لمحبَّةِ الله. وشَرطُنا المَفقُود يُضَخِّمُ ويُرَفِّعُ من محبَّةِ اللهِ، وليسَ

صلاحُنا، ولا ظَنُّنا أنَّنا نستَحِقُّ الخلاص. لهذا أحدُ جُذُورِ معنى كلمة "نعمَة" هي "العَطف غير المُستَحَقّ."

هُنا يَرجِعُ بِسُرعَةٍ إلى النُّقطَةِ الثَّانِيَة منَ الإنجيل، إذ يطرَحُ السُّؤال: "لأنَّهُ إن كُنَّا ونحنُ أعداءٌ قد صُولِحنا معَ اللهِ بمَوتِ إبنِهِ، فبالأولى كَثيراً ونحنُ مُصالَحُونَ نخلُصُ بحياتِهِ؟" فهُوَ يُخبِرُنا هُنا لماذا على الخُطاة نظيركَ ونظيري أن يُؤمِنُوا بهاتَينِ الحقيقَتَينِ منَ الإنجيل، عندما يستَخدِمُ كلمة "مُصالَحة."

النَّتيجَةُ الجَوهَرِيَّةُ للمُصالَحة معَ اللهِ عندما نتبرَّرُ بالإيمان بِرَبِّنا يسُوع المسيح، هي السَّلامُ معَ الله. يَحُضُّنا بُولُس للمرَّةِ الثَّالِثَة بأن نفرَح. فلقد سبقَ وحضَّنا على أن نفرَحَ لأنَّنا نستطيعُ أن نحيا حياةً تُمَجِّدُ الله. علينا أن نفتَخِرَ بضيقاتِنا، لأنَّها تُلزِمنا على الوُصُولِ إلى نعمَةِ الله. وأخيراً، يَحُضُّنا بُولُس على أن نفرَحَ لأنَّنا نِلنا المُصالَحة معَ الله.

إبتداءً منَ العددِ الثَّانِي عَشَر، في النِّصفِ الثَّانِي من هذا الإصحاح، يكتُبُ بُولُس ما يُمكِنُ إعتِبارُهُ واحداً من أصعَبِ المقاطِع بينَ كُلِّ كتاباتِهِ. وأنا مَدينٌ مِن جديد للدُّكتُور David Stuart Briscoe ، لأجلِ مُلَخَّصٍ بَسيطٍ ولكن رائِع لهذا المقطع، الذي يقَعُ في قَلبِ لاهُوتِ العهدِ الجديد.

الفاتِحُونَ الأربَعَة

بِحَسَبِ ما يَقُولُهُ هذا المُفسِّر للكتابِ المُقدَّس، يُخبِرُنا بُولُس في هذا المقطع عن أربَعَةِ مُحتَلِّينَ أو فاتِحين. كُلُّ واحد مِنهُم يدخُلُ إلى هذا العالم. وهُم يزدَهِرُونَ في هذا العالم، إلى أن يملِكُوا وينتَصِرُوا. فهُوَ يَقُولُ أوَّلاً أنَّ الخَطِيَّةَ دخَلَت وتكاثَرت وملكَت، ولهذا بإمكانِنا أن نُسمِّيَها "المَلِكُ خَطيَّة." ولكنَّ بُولُس لا يُقدِّمُ أُطرُوحَةً عن كيفَ دخَلَتِ الخطيَّةُ العالم، وكيف تدخُلُ حياتَنا. بل يعتَرِفُ بُولُس ببَساطَةٍ بالحقيقَةِ الصَّعبَة، أنَّ الخَطيَّةَ والشَّرَّ هُما هُنا، وهُما حاضِرَانِ بتوفُّرٍ في حياتنا الشَّخصِيَّة.

أصلُ الشَّرِّ هُوَ مُشكِلَةٌ بَحَثَها الفلاسِفَة واللاهُوتِيُّون لآلافِ السَّنين. أولئك المُؤمنُونَ لا يُمكِنُهُم أن يُفَسِّرُوا كيفَ أو من أينَ جاءَ الشَّرُّ، إن كانَ كُلُّ ما خَلَقَهُ اللهُ صالِحاً. والكتابُ المُقدَّسُ واقِعيٌّ بشكلٍ كافٍ، ليَعتَرِفَ

بحقيقَةِ وُجُودِ هذه القوى المُعادِيَة لله ولكُلِّ ما هُوَ صالِحٌ، ولكنَّ الكتابَ لا يُخبِرُنا لماذا وكيفَ سمحَ اللهُ لها بالوُجُود.

أقرَبُ تفسيرٍ نَصِلُ إليهِ هُوَ في المثَلِ الذي علَّمَهُ يسُوعُ عن الحنطَةِ والزِّوان (متَّى ١٣: ٢٤- ٣٠). البذُورُ الصَّالِحَة غُرِسَت، ولكن حدَثَ تخريبٌ لهذا الزَّرعِ، لَربَّما في الليل، عندما جاءَ أحدُهُم لا يُريدُ الخيرَ لهذا المُزارِع، وغرسَ زواناً وحشيشاً يُشبِهُ تماماً نباتَ القمح. وعندما نما الإثنانِ معاً، كانَ مُستَحيلاً تمييزُهُما عن بعضِهما البَعض. يُطرَحُ السُّؤالُ وتَتِمُّ الإجابَةُ عليهِ: "ألم تَغرِس بذاراً جَيِّداً في حقلِكَ؟ فمن أينَ أتى هذا الزَّوان؟ والجوابُ هُوَ، "إنسانٌ عَدُوٌّ فعلَ هذا."

أُذَكِّرُكُم مُجَدَّداً أنَّهُ كما فعلَ مُوسى في سِفرِ التَّكوين، بُولُس لم يَكُن يتكلَّمُ فقط عن كيفَ كانَتِ الحالُ آنذاك. بل كانَ يُقدِّمُ هؤُلاء الفاتِحينَ الأربَعة كما هُم عليهِ اليوم. عليكُم أن تنتَظِروا إلى أن تروا بَقِيَّةَ الحُجَّة – أنَّهُ يُعَلِّمُ الخُطاةَ الذين أُعلِنوا أبراراً، كيفَ يُمكِنُهُم الوُصُول إلى نعمَةِ اللهِ، بالإيمان، ثمَّ أن يحيوا بإستِقامَةٍ في عالَمٍ خاطِئٍ ساقِط.

يُخبِرُنا بُولُس أنَّ "الملك خَطِيَّة" دَخَلَ العالَمَ وحياتَنا. ونيَّتُهُ هي أن يزدَهِرَ في حياتِنا وفي عالمِنا، إلى أن يتغلَّبَ علينا ويسُودَنا. علَّمني أحدُ القُسُوس المُتَقدِّمينَ في السِّنّ قائِلاً، "لا يُمكِنُكَ أن تتَعايَشَ معَ الخطيَّة في حياتِكَ أكثَر مِمَّا يُمكِنُكَ أن تتعايَشَ معَ مرضِ السَّرطان." فكُلُّ تابعٍ مُخلِصٍ للمسيح يحتاجُ أن يعرِفَ أنَّ الخطيَّةَ هي أحدُ الفاتِحين. وعندما دَخَلَتِ الخطيَّةُ إلى هذا العالم، أو إلى حياتِنا، كانت النِّيَّةُ منها ولا تزالُ أن تنمُو وتزدَهِر إلى أنت تتغلَّبَ علينا وتَسُودَ على حياتِنا.

الفاتِحُ الثَّانِي الذي يُقدِّمُهُ بُولُس في هذا الإطار هي "الملِك مَوت." فهُوَ سيَقُولُ في نهايَةِ الإصحاحِ السَّادِس، أنَّ أُجرَةَ الخَطِيَّةِ هي موت. وعندما يستَخدِمُ إستِعارَةَ المَوت، يعني بهِ أوَّلاً المعنى الحرفيّ، ولكنَّهُ يقصدُ ما هُوَ أبعد من ذلكَ. إنَّهُ يُلصِقُ صبغَةَ الموتِ على كُلِّ العواقِب السَّلبِيَّة للخطيَّة في عالَمِنا وفي حياتِنا. فعندما يدخُلُ الملك "خطيَّة" في حياتِنا، سوفَ يُرافِقُهُ دائماً "الملك مَوت."

إنَّ كاتِبَ المزامير القَديم والمُوحَى، أعلن أنَّنا نأكُلُ من تَعَبِ يَدَينا (مزمُور ١٢٨: ٢). ويُخبِرُنا الشَّاعِرُ قائِلاً: "عاجلاً أم آجِلاً، سيجلِسُ كُلُّ

إنسانٍ على مائِدَةِ العواقِب." ولقد شدَّدَ يسُوعُ كثيراً على هذه الحقيقة التي لا يُمكِنُ إنكارُها، أنَّ كُلَّ قرارٍ أو خيارٍ نتَّخِذُهُ يَقُودُ إلى عواقِب (متَّى ٧: ١٣-١٧). في هذا المقطع العميق، يُعَلِّمُ بُولُس هذه الحقيقةَ نفسَها، عندما يُعلِنُ أنَّ "الملك مَوت" يتبَعُ دائماً "الملك خَطِيَّة."

الفاتِحانِ الأوَّلانِ يُمكِنُ نعتُهُما بالأخبارِ السَّيِّئَة. أمَّا الفاتِحانِ التَّالِيان الثَّالِث والرَّابِع، فيُشَكِّلانِ الأخبار السَّارَّة. فالفاتِحُ الثَّالِثُ هُو "الملك يسُوع،" أو "يسوع الملك." الإنجيلُ الذي يُقَدِّمُهُ بُولُس في هذه الرِّسالَة هو أنَّ يسُوعَ دَخَلَ إلى هذا العالم. ولقد مكَثَ وتوسَّعَ تأثيرُهُ في هذا العالم إلى أن إنتَصَرَ على الخطيَّة، الشَّرّ، والشَّيطان. وذاتَ يومٍ، سوفَ يملِكُ يسُوعُ على ملكُوتِهِ، الذي لن تكُونَ لهُ نهايَة.

يسُوعُ المسيحُ هُوَ أعظَمُ فاتِحٍ سبقَ ورآهُ هذا العالَمُ على الإطلاق. فلِمُدَّةِ ألفَي سنَة، كانَ يسُوعُ يدخُلُ إلى حياةِ النَّاسِ حولَ العالم. وذاتَ يَومٍ، سوفَ يُعرَفُ أنَّهُ إنتَصَرَ وسادَ علىكُلِّ شَعبٍ وأُمَّةٍ وقَبيلَةٍ وعِرقٍ ولسانٍ في هذا العالم. (متَّى ٢٤: ١٤، رُؤيا ٥:)) بِحَسَبِ آخِرِ سِفرٍ من أسفارِ الكتابِ المُقدَّس، أي سفر الرُّؤيا، يوماً ما سوفَ ينتَصِرُ يسُوعُ حرفيَّاً، كونَهُ ملك المُلُوك وربّ الأرباب.

تَذَكَّرُوا أنَّ الحُجَّةَ المُنظَّمَةَ التي يُقَدِّمُها بُولُس هُنا، هي أنَّهُ منَ المُمكِنِ الوُصُول إلى نعمَةِ اللهِ التي ستمنَحُنا القُوَّةَ الدِّيناميكيَّةَ الرُّوحيَّة لِنَحيا حياةً صحيحَةً، كما يجدُرُ بالذين يُعلَنُونَ أبراراً بأن يعيشُوا. الحقيقَةُ الأكثَرُ ديناميكيَّةً في العهدِ الجديد، هي الأخبارُ السَّارَّة، أنَّ يسُوعَ نفسَهُ الذي دخَلَ هذا العالم ليُخَلِّصَنا من خطايانا – بما أنَّهُ أُقيمَ منَ الأمواتِ- بِصِفَتِهِ المسيح الحَيّ المُقام يقدِرُ أن يدخُلَ حياتَكَ اليوم.

عندما دخَلَ يسُوعُ هذا العالم، وعندما يدخُلَ حياتَنا اليوم، يُريدُنا أن نفيضَ ونتزايَدَ في هذا العالم، إلى أن يَسُودَ على حياتِكَ وحياتِي (رُومية ٥: ١٧). لقد أعلَنَ أنَّهُ جاءَ لِتَكُونَ لنا حياةٌ ولِيَكُونَ لنا أفضَل (يُوحَنَّا ١٠: ١٠). هذا ينبَغي أن يُثيرَ تساؤُلاتٍ في قَلبِكَ وفي قَلبِي: هل أنا تبَرَّرتُ بالإيمانِ بيسُوع المسيح؟ أم أنَّني لا أزالُ مغلُوباً منَ "الملك خَطِيَّة؟" ومغلُوباً من توأمِها "الملك مَوت؟" هل أتناوَلُ الطَّعامَ دائماً على "مائِدَةِ العواقِب،"

الأمرُ الذي يُظهِرُ لي وللذينَ يعرِفُونَني أنَّني لا أزالُ مغلُوباً من هذينِ المَلِكَين؟"

إن كُنتَ لا تزالُ مهزُوماً منَ الخطيَّة وعواقِبِها، فأنتَ إذاً مُستَعِدٌّ لقُبُولِ الأخبارِ السَّارَّة (الإنجيل) عنِ الفاتِحِ الرَّابِع في هذا التَّصريحِ الرَّائِع، الذي معَهُ يفتَتِحُ بُولُس مَوضُوعَهُ عن كيفيَّةِ العيشِ الصَّحيح. بعدَ أن أخبَرَنا عن هؤلاء الفاتِحينَ الأربَعة، كتبَ بُولُس يَقُول، "لأنَّهُ إن كانَ بِخَطِيَّةِ الواحِدِ قد مَلَكَ المَوتُ بالواحِد، فبِالأَولَى كَثيراً الذين ينالُونَ فَيضَ النِّعمَة وعَطِيَّةَ البِرِّ سَيَملِكُونَ في الحَياةِ بالواحِدِ يسُوع المسيح." (رومية ٥: ١٧)

هُناكَ الكَثيرُ منَ الحقيقَةِ في هذا المقطَع العميق، لدرجَةِ أنَّهُ لن يتسنَّى لي المجالُ الكافِي لأُفَسِّرَهُ. الحقيقَةُ الهامَّةُ التي نستخلِصُها من هذا المقطَع العظيم هي أنَّهُ منَ المُمكِنِ لنا أن ندخُلَ في المسيح وأن ننمُوَ فيهِ وأن نملِكَ فيه، وأن ننتَصِرَ على الخَطِيَّةِ والموت.

الإستعارَةُ الجميلة عن هؤُلاء الفاتِحينَ الأربَعة تفتَتِحُ هذا المقطَعَ الثَّانِي من الإصحاحاتِ الأربَعة، والتي تتكلَّمُ بمُجمَلِها عن كيفَ نستَطيعُ أن نتغلَّبَ على المَلك خَطِيَّة والمَلِك مَوت، وأن ندخُلَ إلى حياةِ الإتِّحادِ معَ المسيح، وأن نملِكَ في الحياة من خلالِ علاقَتِنا معَهُ. الإصحاحاتُ السَّادِس، السَّابِع، والثَّامِن ستُطَوِّرُ هذا التَّعليم بِطَريقَةٍ عميقَةٍ وشامِلة. فهُوَ سوفَ ينتَهي في الإصحاحِ الثَّامِن بالإعلانِ أنَّهُ بإمكانِنا أن نَكُونَ أعظَمَ من مُنتَصِرين، من خلالِ الذي أحَبَّنا! (٣٧)

يختُمُ بُولُس هذا التَّعليم عنِ الفاتِحينَ الأربَعة برَبطِ الخَطِيَّةِ بآدَم، الذي من خلالِهِ أصبحنا جميعاً خُطاة، معَ عمَلِ المسيح، الذي من خلالِهِ أصبحَ جميعُ المُؤمنينَ أبراراً.

"فإنَّهُ كما بِخَطِيَّةٍ واحِدَةٍ صارَ الحُكمُ إلى جَميعِ النَّاسِ للدَّينُونَة، هكذا بِبِرٍّ واحِدٍ صارَت الهِبَةُ إلى جَميعِ النَّاسِ لِتَبريرِ الحياة. لأنَّهُ كما بِمَعصِيَةِ الإنسانِ الواحِدِ جُعِلَ الكَثيرونَ خُطاةً، هكذا أيضاً بإطاعَةِ الواحِدِ سيُجعَلُ الكَثيرُونَ أبراراً." (رُو ٥: ١٨، ١٩)

نتجَ عن خَطِيَّةِ آدم حُكمُ ودينُونَةُ الموت، أمَّا عمَلُ بِرِّ المسيح فنتجَ عنهُ عطيَّة التَّبرير المجَّانِيَّة والحياة لأُولئكَ الذين هُم أولاد إبراهيم، لأنَّ لديهم الإيمان ليُصَدِّقُوا اللهَ عندما يُخبِرُهُم عمَّا فعلَهُ من أجلِهِم في المسيح.

ثُـمَّ يُلَخِّـصُ بُـولُس تعليمَـهُ عـن هـذه النُّقطَـة بـالقَولِ أنَّـهُ عنـدما دخَـلَ نامُوسُ اللهِ إلى العالَم بِمُوسَى، بما أنَّ عمَلَ النَّامُوس كانَ دائماً ولا يزالُ أن يُحَذِّرَنا منَ خَطِيَّتِنا، بهذا المعنى جعلَ النَّامُوسُ التَّعدِّي يزداد. ولكنَّ الأخبارَ السَّارَّةَ كانت ولا تزالُ أنَّـهُ عندما تزدادُ الخطيَّـة، هُنـاكَ تكثُرُ النِّعمَـةُ جداً: "وأمَّا النَّامُوسُ فدَخَلَ لِكَي تكثُرَ الخَطيَّة. ولكن حَيثُ كَثُرَتِ الخَطِيَّةُ إزدَادَتِ النِّعمَةُ جدَّاً. حتَّـى كما ملَكَتِ الخَطِيَّـةُ فـي المَوتِ هكذا تَملِكُ النِّعمَـةُ بـالبِرِّ لِلحياةِ الأبديَّة بيسُوع المسيح رَبِّنا." (رُومية ٥: ٢٠- ٢١)

أدَّت سيادَةُ الخَطِيَّةُ وتُؤَدِّي اليومَ إلى الموت، ولكنَّ سيادَةَ النِّعمَة أدَّت وتُؤدِّي اليومَ إلى الحياةِ الأبديَّـة بيسُـوع المسيح رَبِّنـا. سـوفَ يُطَـوِّرُ بُـولُس ويُوسِّعُ هذه الحقيقَة في الإصحاحِ السَّادِس، وسوفَ يختُمُ التَّعليمَ الذي بدَأَهُ هُنا، في نهايَةِ الإصحاحِ السَّادِس، بالكلماتِ التَّالِيَة: "لأنَّ أُجرَةَ الخَطِيَّة هـي مَوتٌ، وأمَّا هِبَةُ اللهِ فهِيَ حياةٌ أبَدِيَّةٌ بالمسيح يسُوع رَبِّنا." (رومية ٦: ٢٣)

الفَصلُ الثَّانِي
"نَوعانِ منَ العَبيد"
(٦: ١- ٢٣)

كيـفَ يعـيشُ النَّـاسُ الـذين أُعلِنُـوا أبـراراً بالإيمـان بمـا عمِلَـهُ يسُـوعُ المسيحُ من أجلِهم؟ وكيفَ ينبَغـي أن نتوقَّعَ أن يعيشَ النَّـاس الـذين أُعلِنُـوا أبـراراً؟ وأيـنَ يَجِـدُونَ القُـوَّة الدينامِيكيَّـة ليعيشُـوا بهـذه الطريقـة؟ هـذا هُـوَ مَوضُوعُ الإصحاحات الخامِس إلى الجزءِ الأوَّلِ منَ الإصحاحِ الثَّـامِن من هذه التُّحفَة اللاهُوتيَّة الرَّائِعة.

مُقَدِّمَة للإصحاح السَّادِس

إذ نقتَرِبُ من هذا الإصحاح، هُنـاكَ عددٌ ينبَغـي وضـعُهُ إلـى جانِـبِ الإستِعارَة التي يستَخدِمُها بُولُس: "أتَكَلَّمُ إنسـانِيَّاً من أجلِ ضَـعفِ جسدِكُم." (١٩) هُناكَ أيضاً حقيقَةٌ تُرَكِّزُ على مَوضُوعِ الإصحاح، وينبَغي أن يُدرَسَ الإصحاحُ بِكامِلِهِ في إطارِ هذه الحقيقة: "إذاً لا تَملِكَنَّ الخَطِيَّـةُ فـي جسدِكُم المائِت... فإنَّ الخَطِيَّةَ لن تَسُودَكُم." (١٢، ١٤)

أربطُوا الأعدادَ الأُولى من هذا الإصحاح بأفكارِ بُولُس الأخيرة في الإصحاحِ الخامِس. بما أنَّه أنهى الإصحاح الخامِس وهُوَ يكتُبُ أنَّهُ حَيثُ كَثُرَتِ الخَطيَّة، هُناك إزدَادَتِ النِّعمَةُ جدَّاً، بدأَ الإصحاحَ السَّادِسَ بسُؤالٍ تصوَّرَ أنَّ قُرَّاءَهُ قد يرغَبُونَ بأن يطرَحُوهُ عليه: "فماذا نَقُولُ؟ أنبقَى في الخَطِيَّة لِكَي تكثُرَ النِّعمَة؟" وكانَ جوابُهُ بالطَّبعِ، "حاشا". ثُمَّ يبدأُ بإستخدامِ الصُّوَر المجازِيَّة التي تُوضِحُ جوابَهُ المُوسَّع على هذا السُّؤال.

الصُّورَةُ المجازِيَّةُ الأُولى هي المعمُوديَّة. يُمكِنُ تفسيرُ هذا الإيضاح الذي يستَخدِمُهُ بُولُس بِطريقَتَين. أُولئِكَ الذين يُؤمِنُونَ بأنَّ التَّغطيس هُوَ الشَّكل الصَّحيح للمَعمُوديَّة، يعتَقِدُونَ أنَّ بُولُس يتكلَّمُ هُنا عنِ المعمُوديَّة التي أوصَى بها يسُوعُ في مأمُوريَّتِهِ العُظمى (متَّى ٢٨: ١٨- ٢٠). يكتُبُ بُولُس في رِسالَةٍ أُخرى أنَّنا جميعاً نُصبِحُ مُعَمَّدِينَ بالمسيح عندما نُؤمِنُ بالإنجيل (١كُورنثُوس ١٢: ١٣). يعتَقِدُ الكَثيرُونَ أنَّ بُولُس يكتُبُ عن معمُودِيَّتِنا في المسيح في هذه الأعداد. وكما هي الحالُ في مُعظَمِ الأَحيان، الجوابُ هُوَ أنَّ الخَيارَ ليسَ ما بينَ إمَّا كذا وإمَّا كَذا، بل ما بينَ الإثنانِ معاً، مُجتَمِعَينِ أو مُنفَصِلَين.

فعندما نتبرَّرُ بالإيمان، رُغمَ أنَّ هذا سِرٌّ لا نفهَمُهُ تماماً، ولكنَّنا نعتَمِدُ لِلمَسيح. ونَعتَمِدُ لمَوتِهِ وقيامَتِهِ. وكما يُخبِرُنا بُولُس في نهايَةِ الإصحاحِ الخامِس، نحنُ بمعنَىً ما جميعاً "في آدَم." فنحنُ في آدم عندَما أخطأَ الكائِنُ البَشَريُّ الأوَّل. فبِذلكَ الإنسان الأوَّل، وبإتِّحادِنا معَهُ وفيهِ، أخطأنا نحنُ جميعاً. وطالَما نحنُ نُعَبِّرُ فقط عن طَبيعَةِ آدمَ، أو طبيعَةِ جسدِنا، نحنُ جميعاً مُذنِبُونَ خُطاة، ونحتاجُ أن نتبرَّرَ بالإيمان.

هذا ما قصَدَهُ يسُوعُ عندما قالَ لنيقُوديمُوس أنَّنا مُدانُونَ مُسبَقاً، ولهذا ينبَغي علينا أن نُؤمِنَ بهِ (يُوحَنَّا ٣: ١٨). عندما تحدُثُ لنا هذه المُعجِزَة، نَكُونُ قد أصبَحنا عندَها في المسيح، وقدِ إعتَمَدنا إلى مَوتِهِ وقيامَتِهِ. فكما نحنُ في آدمَ، هكذا أصبحنا الآن في المسيح. لهذا يُسمَّى يسُوعُ آدم الأخير (١كُورنثُوس ١٥: ٤٥).

معمُودِيَّةُ المَاء، كما أوصَى بها يسُوع، هي مُجَرَّدُ ظِلٍّ لهذه المعمُودِيَّة الرُّوحِيَّة العميقة. فعندما نُطيعُ مأمُوريَّةَ المسيح العُظمى ونعتَمِدُ،

نعتَرِفُ بذلكَ بإيمانِنا بِيَسُوع، بالطريقَةِ التي أمَرَنا بها يسُوعُ أن نعتَرِفَ علناً بإيمانِنا بهِ.

ولكنَّ معمُوديَّةَ الماءِ تُشيرُ إلى حقيقَةٍ أعمَق. فالمَوتَى لا يقتَرِفُونَ الخطيَّة. وبُولُس يعرِفُ أنَّنا لسنا أمواتاً بعد، وأنَّنا لا نزالُ نُخطِئُ. فهُوَ يستَخدِمُ المعمُوديَّة كمُجَرَّدِ إيضاح. فإن كُنَّا أمواتاً، لن نُخطِئَ. وحيثُ تكُونُ الخَطِيَّةُ مَعنِيَّةً، حتَّى ولَو لم نَكُنْ أمواتاً، ولكن علينا أن نتصرَّفَ تجاهَ الخَطيَّة وكأنَّنا أمَواتٌ.

معمُودِيَّةُ الماءِ بالتَّغطيس تُوازِي وتُوضِحُ بِشَكلٍ جَميلٍ ما يتكلَّمُ عنهُ بُولُس في هذا الإصحاح. فهُوَ يُوَحِّدُ الشَّخصَ الذي يَعتَمِدُ معَ حقيقَتَينِ منَ الإنجيل: مَوت وقيامَة يسُوع المسيح. فعندَما ننزِلُ إلى الماء، نُقَدِّمُ بذلكَ إعتِرافَنا الشَّخصِيّ والعَلنيّ بالإيمانِ بمَوتِ يسُوع من أجلِ خلاصِنا.

مَعمُوديَّتُنا بالماءِ تُؤَدِّي إلى إعتِرافٍ أعمَق بالإيمانِ بمَوتِ وقيامَةِ مُخَلِّصِنا بطريقَةٍ جميلة. عندما نَنزِلُ إلى الماء، نعتَرِفُ بالإلتِزام بأنَّنا نَمُوتُ عنِ حياتِنا الماضِيَة بالخَطيَّة. وعندما نخرُجُ من مِياهِ المَعمُوديَّة، نعتَرِفُ بالإلتِزامِ بأن نحيا حياةً جديدَةً في علاقَةٍ معَ المسيحِ الحَيِّ المُقام، وهذه الحياة أصبَحَت مُمكِنَة بتلكَ العلاقَة.

بينما ينتَقِلُ بُولُس من صُورَةِ المعمُوديَّة إلى صُورَةِ موتِ وقيامَةِ المسيح، ومن ثَمَّ يتحدَّانا بأن نُطَبِّقَ إتِّحادَنا معَ مَوتِ وقيامَةِ المسيح على خَطِيَّتِنا وعلى حياتِنا في البِرّ، تَذَكَّرُوا العددَ الذي يُعتَبَرُ مفتاحَ فهمِ هذا الإصحاح: "أتكلَّمُ إنسانِيَّاً من أجلِ ضَعفِ جَسَدِكُم." (١٩) يعني هذا التَّصريح: "أنا أستَخدِمُ إيضاحاتٍ بَشَرِيَّة لأُساعِدَكُم على فهمِ حقائِقَ رُوحيَّة أُعَلِّمُكُم إيَّاها."

يسُوع المسيح هُوَ أعظَم مُعَلِّمٍ عرفَهُ هذا العالَمُ على الإطلاق، وكانَ المُعَلِّمَ الأعظَمَ بدُونِ مُنازِعٍ في إستِخدامِ الأمثالِ والصُّوَر المجازِيَّة. ومنَ الواضِحِ أنَّ بُولُس تعلَّمَ هذه النَّظرَة للتَّعليم منَ المسيحِ المُقام، الذي علَّمَ بُولُسَ في صحراءِ العَرَبِيَّة، بِحَسَبِ ما كتبَ بُولُس إلى الغلاطِيِّين (غلاطية ١- ٢: ١٠). هذا العددُ المِفتاحِيّ للصُّوَر المجازِيَّة في هذا الإصحاح، هُوَ ببساطَةٍ جَعْلُ التَّصريح الذي إتَّبَعَهُ بُولُس على خُطَى أعظَم مُعَلِّم سبقَ وعرَفَهُ هذا العالم، يُوضِحُ تعليمَهُ حرفِيَّاً.

تُوجَدُ كَلِماتٌ أُخرى في هذا الإصحاح التي تُعتَبَرُ مفاتِيحَ تُحَدِّدُ لنا طريقَةَ تفسيرِ وتطبيقِ هذه الإيضاحات التي يستَخدِمُها بُولُس عن صِراعِنا معَ الخَطِيَّة. أُنظُرُوا إلى العدد الخامِس، حيثُ يكتُبُ بُولُس أنَّنا علينا أن نَكُونَ مُتَشَبِّهينَ بِمَوتِهِ وقيامَتِهِ. وفي العددِ الحادِي عشَر، يكتُبُ بُولُس قائِلاً: "كذلكَ أنتُم أيضاً إحسِبُوا أنفُسَكُم أمواتاً عنِ الخَطيَّة، ولكن أحياءَ للهِ بالمَسيحِ يسُوع رَبِّنا." الكلمة اليُونانِيَّة التي إستَخدَمَها بُولُس هُنا، والتي تُرجِمَت "إحسِبُوا،" تتضمَّنُ في مُحتواها، كما يراها المُفسِّرُون، التَّالِي: "بنفسِ الطَّريقَة، إعتَبِرُوا أنفُسَكُم أمواتاً عن جاذِبيَّةِ وسُلطَةِ الخطيَّة، ولكن أحياءَ للهِ بالمسيحِ يسُوع رَبِّنا."

هذا أمرٌ بالِغُ الأهمِّيَّةِ بالنِّسبَةِ لكَ ولي، خلالَ دِراسَتِنا لهذا الإصحاح. فبُولُس لا يُخبِرُنا أنَّنا أمواتٌ بالمعنَى الحَرفِيّ للكَلِمَة. فالشَّخصُ المَيتُ لا يُخطِئ، ولا يتجرَّبُ أبداً بالخَطيَّة. فإن كُنَّا أمواتاً، لن تَعُودَ الخَطِيَّةُ تُشَكِّلُ مُشكِلَةً لنا بتاتاً. مُشكِلَتُنا هي أنَّنا لسنا أمواتاً عنِ الخَطيَّة. يُعلِّمُ بُولُس أنَّنا ينبَغي أن نتجاوبَ معَ الخطيَّةِ وتجارِبِها وكأنَّنا أموات.

أحدُ المُشاة الذي أفرَطَ بِشُربِ الكُحُول، كانَ أوَّلَ واصِلٍ إلى مَشهَدِ حادِثٍ سَير. وكانَ يُوجَدُ رَجُلٌ مُصابٌ منَ الحادِث، وهُوَ يزحَفُ على جانِبِ الطَّريق قائِلاً، "إدعُو لي إسعاف! إدعُو لي إسعاف." فأجابَ الشخصُ السَّكران، "إذاً أنتَ إسمُكَ إسعاف." عندما نُواجِهُ تجارِبَ الخَطيَّة، يتحدَّانا بُولُس قائِلاً لنا، "إدعُوني شَخصاً مَيِّتاً."

مثل آخرينَ كثيرِين، عندما تجدَّدتُ، لن أنسى أبداً أُولئكَ الذين كانُوا أصدِقائِي في الخطيَّة، وكم حَزِنُوا عندما أخبَرتُهُم أنَّني لن أنضَمَّ مُجدَّداً إليهِم للسُّلُوكِ في طريقَةِ الحياةِ الخاطِئة القديمة. وعندَما أخبَرتُ واحداً منهُم أنَّني قَرَّرتُ أن أدرُسَ اللاهُوت إستِعداداً لخدمَةِ الرَّب، قالَ لي أنَّهُ كانَ يتألَّمُ كثيراً بِسَبَبِ توبَتي، لأنَّني أصبَحتُ كشخصٍ مَيِّتٍ بالنِّسبَةِ لهُ. وأضافَ مُنتَحِباً: "وكانَ لديكَ شخصِيَّةٌ مُحَبَّبَة."

عندما إنضَمَمتُ إلى جامعَةٍ مسيحيَّة لأدرُسَ الكتابَ المُقدَّس، أخذتُ بركةً وتشجيعاً في واحِدٍ من أُولى المُحاضَرات التي إستَمعتُ إليها، وذلكَ من خلالِ شَيءٍ قالَهُ بُولُس للغلاطِيِّين في ختامِ رسالَتِهِ لهُم. لقد أعلنَ أنَّهُ بِسَبَبِ صليبِ المسيح، العالَمُ صُلِبَ بالنِّسبَةِ لبُولُس، وصُلِبَ بُولُس بالنِّسبَةِ

للعالم. بِكَلماتٍ أُخرى، الصَّليبُ جَعلَ هذا العالم شَيئاً ميِّتاً، وجعلَهُ يبدُو كشَخصٍ مَيِّت بالنِّسبَةِ للذينَ يعرِفُونَهُ في العالم (غلاطية ٦: ١٤).

إحدى الحقائِق الأساسيَّة التي يُشدِّدُ عليها بُولُس هُنا، هي الحقيقَةُ التي شَدَّدَ عليها في الإصحاحِ الثَّاني. هذه الحقيقَةُ هي أنَّهُ علينا أن لا نَقُومَ بمُمارَسَةِ أيَّةَ فريضَةٍ دينيَّة، بدُونِ الحقيقَة المُمَثَّلَة بتلكَ الفَريضَة أو الطَّقس. فمعمُودِيَّتُنا بالنِّسبَةِ لإعترافِ إيمانِنا، هي مثل الخِتانِ بالنِّسبَةِ للِيَهُودِيّ. علينا أن لا نُفَرِّغَ إعتِرافَنا بالإيمانِ من خلالِ فرَضيَةِ المعمُوديَّة من معناهُ الرُّوحيّ، وأن لا نجعَلَ منهُ طقساً دينيَّاً فارِغاً منَ المعنى، ولا علاقَةَ لهُ بإيمانِنا ولا بإختِبارِنا للعَيشِ بِقُوَّةِ المسيح القائم منَ الأموات.

إجعَلْ وُجهَةَ النَّظَر هذه تَقُودُكَ في تفسيرِكَ وتطبيقِكَ هذه الصُّوَر المجازِيَّة المُوحاة والعميقة، التي يستَخدِمُها بُولُس في هذا الإصحاح.

خُلاصَةُ ما يُعَلِّمُهُ بُولُس في الإصحاحِ السَّادِس

الحقيقَةُ الأُولى التي يُعَلِّمُها بُولُس في هذا الإصحاح، مُوضَّحَةٌ بصُورَةِ المعمُوديَّة. تلكَ الحقيقَة هي أنَّنا علينا أن نرَبِطَ بينَ نُزُولِنا إلى ماءِ المعموديَّة معَ مَوتِ ودفنِ يسُوع، وتَركِ حياتِنا القَديمة بخطاياها وراءَنا في الماء. وعلينا أن نربِطَ قِيامَنا منَ الماءِ معَ قيامَةِ المسيح، ومعَ حياتِنا الجديدة بكامِلِها، التي سَنَعيشُها مُتَحَرِّرينَ من كُلِّ خَطيَّة (١- ٤).

تمَّ تقديمُ هذه الحقيقَة في العددِ الثَّانِي منَ الإصحاحِ الخامِس، حيثُ كَتَبَ بُولُس أنَّهُ صارَ لنا دُخُولٌ بالإيمانِ إلى هذه النِّعمة التي تُمَكِّنُنا منَ الوُقُوفِ والثَّباتِ في المسيح في هذا العالم، وأن نحيا حياةً تُمَجِّدُ الله.

في الأعدادِ السَّبعة التَّالِيَة (٥- ١١)، يُؤَكِّدُ بُولُس على هذا التَّعليم، بتقديمِ حقيقَةٍ غالِباً ما علَّمَها في رسائِلِهِ: "كذلكَ أنتُم أيضاً إحسِبُوا أنفُسَكُم أمواتاً عنِ الخَطيَّة، ولكن أحيَاءً للهِ بالمسيحِ يسُوع رَبِّنا." (١١) أنا أُسمِّي هذه الحقيقة "الإنجيلُ معكُوساً." فإذا عبَّرنا عن فحوى الإنجيل نقُولُ بِبَساطَة، "المسيحُ ماتَ لِكَي نحيا." الإنجيلُ مَعكُوساً هُوَ بِبَساطَة، "الآن جاءَ دَورُكُم؛ أنتُم تَمُوتُونَ (عن شهواتِكُم الآثِمَة وعن طُمُوحاتِكُم الأنانِيَّة)، لكَي يحيا المسيحُ."

علَّمَ بُولُس هذه الحقيقة بِعَينِها لِلغَلاطِيِّين، كإختِبارِهِ الشَّخصِيّ في المسيح: "معَ المسيحِ صُلِبتُ فأحيا، لا أنا، بل المسيح يحيا فيَّ. فما أحياهُ

الآن في الجَسَد، فإنَّما أحياهُ في الإيمان، إيمان إبنِ اللهِ الذي أحَبَّني وأَسلَمَ نفسَهُ لأجلِي." (غلاطية ٢: ٢٠).

الأعدادُ الثَّلاثَةُ التَّالِيَة يُقَدَّمُ لها بكلمة "إذاً،" إذ يكتُبُ بُولُس الرَّسُول قائِلاً:

"إذاً لا تَملِكَنَّ الخَطِيَّةُ في جَسَدِكُم المائِت لِكَي تُطِيعُوها في شَهَواتِهِ. ولا تُقَدِّمُوا أعضاءَكُم آلاتِ إثمٍ للخَطِيَّة، بَل قَدِّمُوا ذَواتِكُم للهِ كأَحياء منَ الأموات، وأعضاءَكُم آلاتِ بِرٍّ لله. فإنَّ الخَطِيَّةَ لَن تَسُودَكُم لأنَّكُم لَستُم تحتَ النَّامُوس، بل تحتَ النِّعمَة." ١٢- ١٤)

يستَخدِمُ بُولُس الكلمة "إذاً،" ليُساعِدَنا على إقتِفاءِ آثارِ منطِقِهِ المُوحَى بِهِ؛ فهُوَ يَربِطُ بِوُضُوحٍ هذه الأعداد الثَّلاثة معَ ما كَتَبَهُ عنِ الإنجيل العَكسِيّ. فإن كُنَّا سنَمُوتُ عنِ الخَطِيَّة، لِكَي يحيا المسيحُ فينا، ولكنَّنا إستَمَرَّينا بالعَيشِ بالخطيَّة، فالمسيحُ لا يقدِرُ أن يعيشَ من خلالِنا. وهذا أمرٌ غيرُ معقُول بالنِّسبَةِ لبُولُس الرَّسُول. فعندما كُنَّا تحتَ النَّامُوس، لم تَكُنْ لدَينا النِّعمة لنحيا فوقَ الخَطِيَّة. وبما أنَّ النِّعمَةَ والخَطِيَّةَ صارا بالمسيح (يُوحَنَّا ١: ١٧)، فعلينا بِبَساطَةٍ ألا نستَمِرَّ بالعَيشِ تحتَ سُلطانِ الخَطِيَّة، لأنَّنا الآن لَدينا نعمَةَ العيشِ كما ينبَغي أن نعيش.

ثُمَّ يَصِلُ إلى قَلبِ هذا الإصحاح، خلالَ تقديمِهِ للصُّورَةِ المجازِيَّة عنِ العُبُودِيَّة: "فماذا إذا، أنُخطِئُ لأنَّنا لَسنا تحتَ النَّامُوس بل تحتَ النِّعمَة. حاشا. ألَستُم تعلَمُونَ أنَّ الذينَ تُقَدِّمُونَ ذواتِكُم لهُ عَبيداً للطَّاعَة، أنتُم عَبيدٌ للذي تُطيعُونَهُ، إمَّا لِلخَطِيَّةِ لِلمَوت، أو للطَّاعَةِ لِلبِرّ. فشُكراً للهِ إنَّكُم كُنتُم عَبيداً لِلخَطِيَّة ولكنَّكُم أطَعتُم منَ القَلبِ صُورَةَ التَّعليم التي تَسَلَّمتُمُوها. وإذ أُعتِقتُم منَ الخَطِيَّة صِرتُم عَبيداً للبِرّ.

"أتَكَلَّمُ إنسانِيّاً من أجلِ ضَعفِ جَسَدِكُم. لأنَّهُ كما قَدَّمتُم أعضاءَكُم عَبيداً لِلنَّجاسَةِ والإثمِ للإثم، هكذا الآنَ قَدِّمُوا أعضاءَكُم عَبيداً لِلبِرِّ لِلقَداسَةِ." (٦: ١٥- ١٩)

وكَما أشَرتُ في تعليقي على التَّحيَّة التي بها بدأَ بُولُس هذه الرِّسالة، عندما كتبَ بُولُس رِسالَتَهُ هذه، كانَ نصفُ النَّاسِ تقريباً في رُوما عبيداً. فبالنِّسبَةِ لأُولئكَ الذين كانُوا مثل بُولُس قد وُلِدُوا أحراراً، مُجَرَّدُ فِكرَةِ كونِ الإنسانِ عَبداً كانت فِكرَةً مُخيفَة. فالحقيقَةُ التي أبرَزَها ديناميكيّاً ودراماتِيكيّاً

بإستخدام هذه الصُّورَة المجازِيَّة، هي أنَّكَ عبدٌ للذي تخدُمُهُ، أو لما تَخدُم. فإن كُنتَ تحتَ سيطَرَةِ الخطيَّة، فأنتَ عبدٌ لِلخَطيَّة.

إن كُنتَ قد وَثِقتَ بِيَسُوع المسيح لِخلاصِكَ، وإن كُنتَ قد إختَرتَ أن تَدعُوَهُ رَبَّاً على حياتِكَ، فأن تَكُونَ عندَها عبداً لِلخَطيَّة هُوَ إنكارٌ لإيمانِكَ بالمسيح (لُوقا ٦: ٤٦). وينبَغي عليكَ أن تَكُونَ عبدَ يسُوع المسيح دُونَ غيرِهِ، الأمرُ الذي سيُحَرِّرُكَ منَ الخطيَّة والمَوت. لهذا يُقدِّمُ بُولُس نفسَهُ في رسائِلِهِ كعبد يسُوع المسيح (رومية ١: ١؛ فيلبِّي ١: ١؛ تيطُس ١: ١).

"لأنَّكُم لمَّا كُنتُم عبيدَ الخَطيَّة كُنتُم أحراراً منَ البِرّ. فأَيُّ ثَمَرٍ كانَ لكُم حِينَئِذٍ منَ الأُمُورِ التي تَستَحُونَ بها الآن. لأنَّ نِهايَةَ تِلكَ الأُمُور هي المَوت. وأمَّا الآن إذ أُعتِقتُم منَ الخَطِيَّة وصِرتُم عَبيداً للهِ، فلَكُم ثَمَرُكُم لِلقَداسَة، والنِّهايَةُ حياةٌ أبدِيَّة. لأنَّ أُجرَةَ الخَطِيَّة هي مَوتٌ، وأمَّا هِبَةُ اللهِ فهِيَ حياةٌ أبَدِيَّةٌ بالمسيحِ يسُوع رَبِّنا." (رُومية ٦: ٢٠- ٢٣)

في الأعدادِ الأربَعَة الأخيرة من الإصحاحِ السَّادس، يَرجِعُ بُولُس إلى تلكَ الحقيقَة التي لا تُدحَض عنِ العواقِب. وَيَحُضُّ بُولُس قُرَّاءَ رِسالَتِهِ بأن يُفَكِّرُوا "بمائِدَةِ العواقِب" التي نتَجَت دائماً عن تَسليمِهِم أعضاءَ جسدِهِم عبيداً لِلخَطيَّة. قالَ بُولُس أنَّهُم عندما كانُوا يخدِمُونَ الخَطيَّة، كانُوا غيرَ قادِرينَ على خِدمَةِ البِرّ. ولكنَّهُ يَحُضُّهُم على أن يُفَكِّرُوا بالثِّمار، أو بعواقِبِ الخطيَّة التي يخجِلُونَ بها الآن. ولقد دعا عواقِبَ الخَطِيَّة "بالمَوت".

بالتَّناقُضِ معَ هذا المَوت، يَحُضُّ بُولُس قُرَّاءَهُ على أن يُدرِكُوا أنَّ ثِمارَ أو عواقِبَ خدمَةِ البِرِّ ستَقُودُ إلى القداسَة، وإلى تِلكَ النَّوعِيَّة منَ الحياة التي يَعِدُ يسُوعُ المسيحُ أن يمنَحَها لكُلِّ من يُؤمِنُ بهِ مُخَلِّصاً، ويُتَوِّجُهُ رَبَّاً على حياتِهِ، ويعيشُ الإنجيلَ معكُوساً – أي أنَّهُ يمُوتُ عنِ الذَّاتِ ليحيا لأجلِ المسيح.

يُلَخِّصُ بُولُس هذا التَّعليمِ العَميق بذلكَ العددِ الخِتامِيِّ، الذي يَقُولُ فيهِ أنَّ أُجرَةَ الخطيَّةِ هي دائماً المَوت. حتَّى في عالَمٍ تُساهِمُ فيهِ الأسواقُ والبُورصَةُ بالتَّلاعُبِ بقيمَةِ الأُجرَة التي نحصَلُ عليها والثَّروة التي نُحَصِّلُها، فالخَطِيَّةُ دائماً تدفَعُ الأُجرَةَ نفسَها. الأخبارُ السَّيِّئَة هي أنَّ "أُجرَةَ الخَطِيَّةِ هي مَوتٌ." ولكنَّ الأخبارَ السَّارَّةَ فهيَ أنَّ "هبة اللهِ هي حياةٌ أبَدِيَّةٌ بالمسيح يسُوع رَبِّنا."

الفَصلُ الثَّالِث
"مبادِئُ بُولُس الرُّوحِيَّة الأربَعة"
(٧: ١ - ٨: ١٣)

عندما كتبَ بُولُس هذا الإصحاح السَّابِع، يَربِطُ تحدِّيَ الإنتِصارِ على الخَطيَّة، معَ نفسِهِ، ويُشارِكُ معنا تفاصيلَ حياتِهِ الخاصَّة، وبالتَّحديد إنهزامِهِ وإنتِصارِهِ في معارِكِهِ معَ الخطيَّة. إذ يبدَأُ هذه الشَّهادَة الشَّخصِيَّة عن صراعاتِهِ معَ التَّقديس، يكتُبُ مقطَعاً أعتَبِرُهُ أنا، كما يعتَبِرُهُ الملايينُ، المقطَعَ المُفضَّلَ في رِسالَةِ رُومية.

خلالَ عرضِ مُقَدِّمَةِ هذا المقطع منَ الرِّسالَة، لاحِظُوا تشديدَ الرَّسُول بُولُس على هذا المفهوم للنَّامُوس. إبتِداءً من هذا الإصحاح، وَوُصُولاً إلى العددِ السَّابِع عشَر منَ الإصحاحِ الثَّامِن، يُقَدِّمُ بُولُس "المبادِئَ الرُّوحيَّة الأربَعة." فكَونَنا أُعلِنَّا أبراراً، إن كُنَّا نرغَبُ بصِدقٍ بأن نحيا بإستِقامَة، علينا أن نفهَمَ بِبَساطَةٍ هذه المبادِئ الرُّوحيَّة الأربَعة التي نقرَأُها في هذه الوقائِع الرُّوحيَّة التي يُشارِكُها بُولُس معنا هُنا.

بينما تقرأُونَ الإصحاحَين السَّابِع والثَّامِن من هذه الرِّسالَة، لاحِظُوا بعنايَةٍ ما يُعَلِّمُ بُولُس عنهُ:

نامُوس الله،
نامُوس الخَطيَّة والمَوت،
نامُوس رُوح الحياة في المسيح،
ونامُوس الذِّهنيَّة أو طريقَة التَّفكير.

بَعدَ تَقديمِ كُلِّ هذه الإستِعاراتِ المَجازِيَّة في الإصحاحِ السَّادِس، يبدَأُ بُولُس في الإصحاحِ السَّابِع بإستِعارَةٍ أُخرى: "أم تَجهَلُونَ أيُّها الإخوة. لأنِّي أُكَلِّمُ العارِفينَ بالنَّامُوس. أنَّ النَّامُوس يَسُودُ على الإنسانِ ما دامَ حَيَّاً. فإنَّ المَرأَةَ التي تحتَ رَجُلٍ هِيَ مُرتَبِطَةٌ بالنَّامُوسِ بالرَّجُلِ الحَيّ. ولكن إن ماتَ الرَّجُل فقد تحرَّرَت من نامُوسِ الرَّجُل. فإذاً ما دامَ الرَّجُلُ حَيَّاً تُدعَى زانِيَةً

إن صارَتْ لِرَجُلٍ آخَر. ولكن إن ماتَ الرَّجُل فهِيَ حُرَّةٌ من النَّامُوس حتَّى إنَّها ليسَت زانِيَةً إن صارَت لِرَجُلٍ آخر."

"إذاً يا إخوَتي أنتُم أيضاً قَد مُتُّم لِلنَّامُوس بِجَسَدِ المسيح، لَكي تَصيرُوا لآخَر للذي قد أُقيمَ منَ الأمواتِ لِنُثمِرَ لله. لأنَّهُ لما كُنَّا في الجسد كانت أهواءُ الخَطايا التي بالنَّامُوس تعمَلُ في أعضائِنا لِكَي نُثمِرَ للمَوت. وأمَّا الآن فقد تحرَّرْنا من النَّامُوس إذ ماتَ الذي كُنَّا مُمسَكِينَ فيهِ، حتَّى نعبُدَ بِجِدَّةِ الرُّوحِ لا بِعُتقِ الحَرف." (رُومية ٧: ١- ٦)

المبدأ الرُّوحِيُّ الأوَّل: نامُوسُ الله

يبنِي بُولُس الآن على ما كتبَهُ في هذا التَّقديم المُوحَى، المَنطِقِي والشامِل للتَّبريرِ بالإيمان. فلقد كَتَبَ أنَّنا جَميعاً تحت الخَطيَّة، لأنَّنا جميعاً تحتَ نامُوسِ الله، الذي يُغلِقُ أَفواهَنا ويُرينا أنَّنا خُطاة.

لاحِظُوا أنَّنا قَبلَ أن يُشارِكَ بُولُس بهذه الإستِعارَة المجازِيَّة التي بها يبدَأُ هذا الإصحاح، يعتَرِفُ أنَّهُ يعرِفُ أنَّهُ يكتُبُ لأُولئكَ الذين يعرِفُونَ النَّامُوس. هذا يعني أنَّنا، كما رأينا في الإصحاحِ الثَّانِي، وعبرَ هذه الرِّسالَة بكامِلِها، أنَّهُ يُخاطِبُ اليَهُود. فهُوَ لا يَزالُ يُفَكِّرُ بأُولئكَ اليَهُود الذين إلتَقَى معَهُم عندَ وُصُولِهِ إلى رُوما (أعمال ٢٨: ١٧- ٢٩). عندما نقرأُ الأَعدادَ الأُولى منَ الإصحاحِ التَّاسِع من هذه الرِّسالة، سنفهَمُ لماذا يُفَكِّرُ هذا الرَّسُولُ دائماً باليَهُودِ أوَّلاً، ثُمَّ باليُونان، في كتاباتِهِ وعِظاتِهِ وتعليمِه.

وها هوَ الآن يُخاطِبُ أشخاصاً يُشبِهُونَ حالَتَهُ كما كانَ عندما كانَ لا يزالُ إسمُهُ شاوُل الطَّرسُوسِيّ. كَفَرِّيسيٍّ منَ الفَرِّيسيِّين، كرَّسَ شاوُل الطَّرسُوسِيُّ كُلَّ ذَرَّةٍ من من كيانِهِ ليحفَظَ نامُوسَ الله. والفَرِّيسيُّونَ أمثال شاوُل الطَّرسُوسيّ كانُوا سَيئي الذِّكر في الأناجيل. ولكن علينا أن نُدرِكَ أنَّهُ كانَ يُوجَدُ وجهٌ إيجابِيٌّ صالِحٌ في الفَرِّيسيّ. مثلاً، تشكَّلَت هذه الجماعَة للحفاظِ على إستِقامَةِ الإيمانِ اليَهُودِيّ. لقد كانَ الفَرِّيسيُّونَ أُصُولِيِّي اليَهُود في فترَةِ العهدِ الجديد منَ التَّاريخِ العِبري. وكانَ الفَرِّيسيُّونَ أمثال شاوُل الطَّرسُوسِيّ يحفَظُونَ عن ظهرِ قَلبٍ نامُوسَ مُوسى، أو الأسفار الخمسة الأُولى منَ العهدِ القَديم. مُعظَمُ المسيحيِّينَ اليَوم لم يَقرَأُوا أسفارَ الكتاب المُقدَّس الخَمسة الأُولى بكامِلِها.

لقد كانُوا أشخاصاً أبراراً بِشَكلٍ لا يُصَدَّق. وكانَ بِرُّهُم نامُوسيَّاً، أي ذلكَ النَّوع منَ البِرِّ الذَّاتِيّ المُتَعَلِّق بِحَرفِ النَّامُوس، الأمرُ الذي قاوَمَهُ وواجَهَهُ يسُوعُ ورُسُلُهُ. ولقد أطاعُوا نامُوسَ اللهِ بِغَيرَةٍ لأنَّهُم آمنُوا بأنَّ خلاصَهُم يعتَمِدُ على النَّامُوس. ولكنَّهُم كانُوا صاحِبِي بِرٍّ ذاتِيّ، وكثيرُونَ منهُم كانُوا رِجالاً مُستَقيمِين.

بينما تقرأُونَ الأناجيل الأربَعة، لاحِظُوا محبَّةَ وصَبرَ يسُوع خلالَ مُحاوَلتِهِ الوُصُولِ للفَرِّيسيِّين أمثال نيقُوديمُوس، يُوسُف الرَّامِي، وأُولئكَ الذين تورَّطَ في حوارٍ معهُم، حتَّى ولو أصبحَ هذا الحوارُ عَدَائِيَّاً. أَعظَمُ مِثَالٍ عن محبَّةِ يسُوع للفَرِّيسيِّين، هُوَ توبَةُ وتجديدُ هذا الرَّسُول على طريقِ دِمَشق. عندما إختارَ المسيحُ المُقامُ أعظَمَ مُرسَلٍ عرفَتْهُ كنيسَةُ المسيحِ على الإطلاق، إختارَ فَرِّيسيَّاً منَ الفَرِّيسيِّين.

في مقطَعٍ يتكلَّمُ فيهِ عن سِيرَةِ حياتِهِ الذَّاتِيَّة، والذي كتبَهُ للفِيلبِّيِّين، أخبَرَهُم أنَّهُ إعتَبَرَ إلتزامَهُ بِحفظِ النَّامُوسِ نفايَةً، لأنَّهُ كَفَرِّيسيٍّ، آمنَ بأنَّ حِفظَ النَّامُوسِ سوفَ يُؤتِي لهُ الخلاص. وبينما كانَ يكتُبُ لكنيسةِ فيلبِّي، أنكَرَ ضَرُورَةِ الإلتِزامِ بالنَّامُوس قَسرِيَّاً. رُغمَ ذلكَ كانَ لَديهِ عَطفٌ كَبيرٌ على اليَهُودِ ذَوِي البِرِّ الذَّاتِيّ، الذين كانُوا غَيُورِينَ في محبَّتِهِم لنامُوسِ الله. في رسالَتِهِ إلى أهلِ رُومية، ها هُوَ الآن يُخاطِبُ أُولئكَ الذينَ كانَ لديهم المُستَوى ذاته في الإلتِزامِ بِنامُوسِ الله.

فما هِيَ علاقَتُهُم بنامُوسِ الله، إذا أدركُوا أنَّهُ ليسَ بإمكانِهِم أن يتبرَّرُوا بحفظِ النَّامُوس؟ الجوابُ على هذا السُّؤال يُوجَدُ في الإستِعارَةِ التي بها بدأَ بُولُس هذا الإصحاح.

عندما وصفَ داوُد الصِّدِّيق، أو الإنسانَ المُبارَك في مزامِيرِهِ، كتبَ يَقُولُ أنَّ الإنسانَ المُبارَك يفرَحُ بنامُوسِ اللهِ، أو يُحِبُّ نامُوسَ الله (مَزمُور ١: ٢). أطوَلُ مَزمُورٍ وأطوَلُ إصحاحٍ في الكتابِ المُقدَّس، منَ الواضِحِ أنَّهُ كُتِبَ من قِبَلِ شَخصٍ مثل عزرا، الَّذي كانَ لهُ محبَّةٌ جَمَّة لنامُوسِ الله (المزمُور ١١٩).

عندما أدركَ اليَهُودُ الأتقياءُ الذين أحَبُّوا شَريعَةَ الله، عندما أدرَكُوا أنَّ هذا النَّامُوس لا يُخَلِّصُهُم، ناحُوا وتألَّمُوا كأرمَلَةٍ تنُوحُ على شريكِ حياتِها. لهذا يُقدِّمُ بُولُس هذه الإستِعارَة المُوحاة الرَّائِعة، التي تُذَكِّرُهُم بأنَّهُ عندما

يفقُدُ الإنسانُ شَريكَ حياتِهِ، يُصبِحُ حُرَّاً بأن يتزوَّجَ ثانِيَةً. الآن وقد فقَدُوا "زَوجَهُم" (أي النَّامُوس)، أصبَحُوا أحراراً "لِيَتزوَّجُوا" بِمَن يُريدُون. يكتُبُ بُولُس أنَّهُم إذا كانُوا يُؤمِنُونَ بما يُقدِّمُهُ لهُم، عليهِم الآنَ أن "يتزوَّجُوا" برَبِّهِم ومُخَلِّصِهِم المُقام، يسُوع المسيح!

التَّطبيقُ الشَّخصِيّ

ما هُوَ التَّطبيقُ الشَّخصِي التَّعبُّدِي بالنِّسبَةِ لأُولئكَ الذين كانُوا في رُوما، وللذينَ يقرَأُونَ هذه الرِّسالَة اليوم؟ بالمَبدَأ، ينطَبِقُ هذا التَّعليمُ على مَن آمنُوا بإستمرار بشخصٍ أو بِشَيءٍ للخلاص، إذ تعلَّمُوا من دراسَتِهِم لهذه التُّحفَة اللاهُوتيَّة أنَّ هذا لم ولن يُخَلِّصَهُم.

هُناكَ إيضاحٌ في إنجيلِ يُوحَنَّا يَصِفُ هكذا أشخاص. فبينما كانَ يسُوعُ يدخُلُ أُورشَليم، كانَ يُوجَدُ جمعٌ كبيرٌ منَ الضُّعفاءِ والمرضى والمُخَلَّعينَ قابِعِينَ على جوانِبِ بركَةِ بيتِ حسدا. كانَ هؤُلاء يُؤمِنُونَ بالخُرافاتِ. وكانُوا يُؤمِنُونَ أنَّهُ عندما تتحرَّكُ الماء، أوَّلُ مَريضٍ ينزِلُ إلى الماء يحظَى بِمُعجِزَةِ الشِّفاء. ولقد شَفى يسُوعُ رَجُلاً مَريضاً كانَ هُناك لأنَّهُ لم يَكُنْ لَديهِ أَمَلٌ بالنُّزُولِ قَبلَ غيرِهِ إلى البِركة. في تفسيري لهذه القِصَّة في الكُتَيِّب رَقم ٢٤، قارَنتُ بينَ الجمعِ الكبير الذي يُرثَى لحالِهِ، والذي كانَ يُعَلِّقُ الآمالَ على تِلكَ الخُرافَة، وبينَ أُولئكَ الذين يبحَثُونَ عنِ الخلاص، أو يُؤمِنُون بأيِّ شَخصٍ أو بِأيِّ شَيءٍ إلا بيسُوع، لأجلِ الخلاص.

يُخبِرُنا بُولُس أنَّهُ لا خلاصَ بِدُونِ يسُوع المسيح: "وليسَ بأحدٍ غَيرِهِ الخلاص، لأنَّ ليسَ إسمٌ آخر قد أُعطِيَ بينَ النَّاس بهِ ينبَغي أن نَخلُص." (أعمال ٤: ١٢) إن كُنتَ تُؤمِنُ بأيِّ شَخصٍ أو بأيِّ شَيءٍ آخر غير يسُوع المسيح لخلاصِكَ، فأنتَ تنظُرُ إلى "بِركَةِ بَيتِ حسدا" مُتوقِّعاً منها الخلاص، وهذه الإستِعارة التي بها يبدَأُ بُولُس إصحاحَهُ السَّابِع من هذه الرِّسالَة، تنطَبِقُ عليك.

عندما تُؤمِنُ بما كتبَهُ بُولُس في الإصحاحاتِ السِّتَّة الأُولى من هذه الرِّسالَة، ماذا ستَفعَلُ معَ ما كانَ بِمَثابَةِ زَوجَةٍ بالنِّسبَةِ لكَ؟ الجَوابُ هُوَ أنَّهُ عليكَ أن تعتَبِرَ ما لا يستَطيعُ أن يُخَلِّصَكَ، وكأنَّهُ شَريكُ حياةٍ مُتَوفٍّ، وأنتَ أصبحتَ حُرَّاً بأن "تتزوَّجَ" بآخَر [أي تعتَمِدَ لِلخَلاصِ على آخَر] ، لا بل بالمسيحِ الحَيِّ المُقام منَ الأموات.

تطبيقٌ شَخصِيٌّ آخر هُو أن تُدرِكَ أنَّهُ إذ يُخاطِبُ بُولُس اليَهُوديّ المُتَدَيِّن من خلالِ هذه الرِّسالة، هُوَ بِذلكَ يُخاطِبُ كُلَّ الأشخاصِ الطَّيِّبين الأتقِياء، الذي يعتَمِدُونَ على صلاحِهِم لخلاصِهم. هُناكَ العديدُ منَ النَّاسِ في هذا العالم، الذين يُؤمِنُونَ بأنَّ الخلاصَ مَبنِيٌّ على عمَلِهم أفضَلَ ما عندهم، وبأن يعيشُوا حياتَهُم بدُونِ أن يُلحِقُوا الأذَى بأحَد. فإن كُنتَ واحِداً من هَؤُلاء الذين يَعتَمِدُونَ على الإستِقامَةِ الشخصِيَّة، وعلى البِرِّ الذَّاتِي لأجلِ الخلاص، فهذه الإستِعارَةُ المجازِيَّةُ تنطَبِقُ عليك.

في تفسيري للإصحاحَين الثَّالِث والرَّابِع من هذه الرِّسالَة، طرَحتُ أسئِلَةً يتوجَّبُ عليكَ أن تُجيبَ عليها، مثل السُّؤال التَّالِي: "كيفَ تستطيعُ أن تعلَمَ ما إذا كُنتَ قد عَمِلتَ ما يكفي منَ الصَّلاحِ أم ليسَ بعد؟" وكذلكَ السُّؤال التَالي: "إن كُنتَ تستطيعُ أن تُخَلِّصَ نفسكَ، فلِماذا توجَّبَ على يسُوع أن يمُوتَ على الصَّليب؟" طَبِّقْ هذه الأفكار التي وجَّهَها بُولُس لليَهُودِ في هذه الرِّسالَة على نفسِكَ، إن كُنتَ واحِداً من أُولئكَ الذينَ يعتَبِرونَ أنفُسَهُم أشخاصاً مُستَقيمِينَ وذوي أخلاقٍ حَمِيدَة، وأنَّ بِرَّهُم كافٍ لخلاصِهم.

لقد تكلَّمَ يسُوعُ بمحبَّةٍ معَ شابٍّ كانَ مُستَقيماً وصالِحاً وذا أخلاقٍ رفيعة. نُسمِّيهِ، "الشَّابُّ الغَنيّ." نقرأُ أنَّ يسُوعَ نظَرَ إليهِ وأحَبَّهُ، وقالَ لهُ أنَّ إستِقامَتَهُ الأخلاقِيَّة ليسَت كافِيَة بتاتاً لخلاصِهِ (مَرقُس ١٠: ٢١).

في الأعدادِ الخَمسَةِ التَّالِيَة، أي رُومية ٧: ٨- ١٢، يُجرِي بُولُس تغييراً جَذرِيّاً في أُسلُوبِ كتابَتِهِ. فلقد كانَ يُخاطِبُ أُولئكَ الذينَ كانَ يكتُبُ لهُم، مُستَخدِماً كَلماتٍ مثل "أنتُم،" و"إخوَتِي." هُنا يبدَأُ بالرَّبطِ بينَ ما يكتُبُهُ وبينَ إختِبارِهِ الشَّخصِيّ معَ نامُوسِ اللهِ ومعَ معرَكَتِهِ معَ الخطيَّة.

المبدأُ الرُّوحِيّ الثَّانِي: نامُوسُ الخَطيَّة

يُكَرِّرُ بُولُس بِهَدَفِ التَّشديد على حقيقَةٍ لطالَما أوضَحَها: القَصدُ من النَّامُوس لم يَكُنْ أبداً الخلاص، بل أن يجعَلنا واعِينَ لِخَطِيَّتِنا ولحاجَتِنا لِلخَلاص. بالنِّسبَةِ لبُولُس، النَّامُوسُ هُوَ بمثابَةِ قياسِ اللهِ المُستَقيم الذي يَضَعُهُ إلى جانِبِ حياتِنا المُعوَجَّة، وبُولُس يُوافِقُ معَ يعقُوب أنَّ نامُوسَ اللهِ هُو بِمَثابَةِ مِرآةٍ نرى فيها نقصاتِنا (يعقُوب ١: ٢٣، ٢٤).

يكتُبُ بُولُس أيضاً قائِلاً أنَّ النَّامُوس هُو مِثلُ مُؤَدِّبٍ قاسٍ يَقُودُنا إلى المسيح. (غلاطية ٣: ٢٤). ويُوضِحُ بُولُس قصدَ وقيمَةَ نامُوسِ اللهِ، عندما يَقُول: "فماذا نَقُولُ؟ هل النَّامُوسُ خَطِيَّة؟ حاشا. بل لَم أعرِفْ الخَطِيَّةَ إلا بالنَّامُوس. فإنَّني لم أعرِفِ الشَّهوَةَ لَو لم يَقُلِ النَّامُوسُ لا تَشتَهِ. ولكنَّ الخَطِيَّةَ وهِيَ مُتَّخِذَةٌ فُرصَةً بالوَصِيَّة، أنشَأَتْ فيَّ كُلَّ شَهوَة. لأنْ بِدُونِ النَّامُوس الخطِيَّة مَيِّتَة. أمَّا أنا فكُنتُ بِدُونِ النَّامُوس عائِشاً قَبلاً. ولكنْ لمَّا جاءَتِ الوَصِيَّةُ عاشَتِ الخَطِيَّةُ فَمُتُّ أنا. فوُجِدَتِ الوَصِيَّةُ التي لِلحياة هي نَفسُها لِي لِلموت. لأنَّ الخَطِيَّةَ وهِي مُتَّخِذَةٌ فُرصَةً بالوَصِيَّة خَدَعَتني بها وقَتَلَتني." (رُومية ٧: ٧- ١١).

ثُمَّ يَصِلُ إلى الإستِنتاج أنَّهُ لا يُوجَدُ أيُّ خَطَأٍ في نامُوسِ الله. مُشكِلَتُهُ ومُشكِلَتُنا لَيسَت معَ نامُوسِ الله، بل معَ نُفُوسِنا.

يتَّفِقُ النَّبِيُّ إرميا معَ بُولُس عندما يَقُولُ ما معناهُ أنَّنا إذا أردنا أن نعرِفَ ما هي المُشكِلَة، علينا أن ننظُرَ في المِرآة. لقد كرزَ إرميا بإستِمرار عن دَينُونَةِ اللهِ القادِمَة عبرَ السَّبي البابِليّ. إحدَّى التَّفاسير للمَقطَعِ المَذكُورِ أعلاه، يَصِفُ إرميا وهُوَ يَعِظُ قائِلاً: "عندما يسأَلُكَ أحدٌ منَ الشَّعبِ أو الكَهَنَةِ: ما هي الأخبارُ السَّيِّئَةُ اليومَ منَ الرَّبِّ يا إرميا، عليكَ أن تُجيب، أنتُم هُم الأخبارُ السَّيِّئة!" (إرميا ٢٣: ٣٣).

كتبَ بُولُس عظَةَ إرميا بِطَريقَتِهِ الخاصَّة: "إذاً النَّامُوسُ مُقدَّسٌ والوَصِيَّةُ مُقَدَّسَةٌ وعادِلَةٌ وصالِحَة. فَهَل صارَ لي الصَّالِحُ مَوتاً. حاشا. بَل الخَطِيَّة. لِكَي تظهَرَ خَطِيَّةً مُنشِئَةً لي بالصَّالِحِ موتاً، لِكَي تصيرَ الخَطِيَّةُ خاطِئَةً جدّاً بالوَصِيَّة." (رُومية ٧: ١٢، ١٣)

يقتَدِي بُولُس بيَسُوع في إعلانِهِ أنَّ نامُوسَ اللهِ صالِحٌ إذا فَسَّرناهُ وطَبَّقناهُ بإنسجامٍ معَ مقاصِدِ اللهِ من إعطائِنا هذا النَّامُوس (متَّى ٥: ١٧-٢٠). لقد تمَّمَ يسُوعُ النَّامُوس بِتمريرِ نامُوسِ اللهِ عبرَ عَدَسَةِ محبَّةِ الله، قبلَ أن يُطَبِّقَ نامُوسَ اللهِ على حياةِ شَعبِ الله. ولقد فعلَ بُولُس الشَّيءَ نفسَهُ ودعاهُ، "رُوحَ النَّامُوس." (٢كُورنثُوس ٣: ٦) إنَّهُ يُرَكِّزُ الآنَ على أحدِ المقاصِد التي لأجلِها أعطانا اللهُ نامُوسَهُ – نامُوس الله يُعلِنُ نامُوسَ الخَطِيَّة.

إعتِرافُ فَرِّيسيّ

يبدَأُ بُولُس هُنا المقطعَ الكِتابِيَّ الأكثَر شفافِيةً وصِدقاً حولَ مَوضُوع التَّقديس، أو الإنتِصار على الخَطيَّة. فكُلُّ مُؤمِنٍ يُصارِعُ معَ "المِلك خَطِيَّة" الذي يُريدُ أن يَسُودَ على حياتِنا إلى أن يَقومَ "المِلك مَوت" بِتَدمِيرِ حياتِنا. تُرينا هذه الأعدادُ بِوُضُوحٍ كيفَ يُطَبِّقُ بُولُس هذا التَّعليم الكِتابِيّ عن التَّقديس على حياتِهِ.

فها هُوَ الآن يُلَخِّصُ ما سَبَق، وهُوَ في قَلبِ وجوهَرِ التَّعليم الذي بدَأَهُ عندما كتبَ العددَ الثَّانِي منَ الإصحاحِ الخامِس: "الذي بهِ أيضاً قد صارَ لنا الدُّخُولُ بالإيمانِ إلى هذه النِّعمَة التي نَحنُ فيها مُقيمُون ونَفتَخِرُ على رَجاءِ مَجدِ الله." تَذَكَّرُوا أنَّهُ هُنا بدأَ الرَّسُولُ بإخبارِ مُؤمِنِي رُومية – ونحنُ بالطَّبع – كيفَ بالإمكانِ الُوصُولُ إلى النِّعمة التي نحتاجُها لنَعيشَ بالطريقة التي يُتَوقَّعُ أن يَعيشَ بها الأشخاصُ الذينَ أُعلِنوا أبراراً.

لقدِ ألحَقَ بُولُس العددَ الإفتِتاحِيّ بِحَضِّهِ لقُرَّائِهِ على الفرح بكُلِّ ما يجعَلُ من نعمَةِ اللهِ يُمكِنُ الوُصُولُ إليها بالإيمان، حتَّى الآلام التي تُرغِمُنا على الوُصُولِ إلى نعمَةِ الله. ولقد تَبِعَ هذا الإستِعارَةُ المجازِيَّة عنِ الفاتِحينَ الأربعَة: الملك خَطِيَّة، الملك مَوت، الملك يسُوع، والمَلِك أنا وأنت، عندما يَحِلُّ رُوحُ اللهِ علينا ليَقُودَ حياتَنا ولِيَجعَلَنا مُنتَصِرين. ثُمَّ في الإصحاحِ ٦، إستَخدَمَ إستِعاراتٍ مجازِيَّة عن المعمودِيَّة، المَوت، القِيامة، والعُبُودِيَّة، لِيُقنِعَنا أنَّ الخطِيَّة لا ينبَغي أن تُسَيطِرَ على حياةِ المُؤمن الذي أُعلِنَ بارَّاً بالإيمان بيسُوع المسيح.

يُتابِعُ بُولُس تعليمَهُ النِّظامِيّ حولَ هذا المَوضُوع، بتقديمِهِ مبادِئَهُ الرُّوحيَّة الأربَعة. ويُوضِحُ بِحَيويَّةٍ تِلكَ المبادِئ معَ إعتِرافٍ شفَّافٍ، يُشارِكُ فيهِ صِراعَهُ الشَّخصِيّ. ثُمَّ يُشارِكُ بمفاتيحِ إنتصارِهِ، الذي يُمكِنُ أن يَكُونَ إنتَصارَنا أيضاً، عندما أوضَحَ أنَّ هذه الخطيَّة لن تَسُودَ على حياتِهِ أيضاً. يُمكِنُ إيجادُ هذا المَوضُوع إبتداءً منَ العدد ١٣ منَ الإصحاحِ الثَّامِن، وُصُولاً إلى نِهايَةِ الإصحاحِ الثَّامِن، ويُمكِنُ القَولُ بأنَّهُ يمتَدُّ إلى نهايَةِ الإصحاحِ الحادِي عَشَر من هذه التُّحفَة اللاهُوتيَّة.

خلالَ قِراءَتِكُم لهذا المقطَع الشَّفَّاف والصَّادِق الذي يتكلَّمُ عن حَياةِ بُولُس الشَّخصِيَّة، والذي يبدُو وكأنَّهُ مقطَعٌ مُختارٌ من مُفَكِّرَةِ الرَّسُول

الرُوحيَّة – فَتِّشُوا على المبادِئ الرُّوحيَّة الأربَعة التي يُظهِرُها بُولُس هُنا. أيضاً تَذَكَّرُوا أنَّكُم تقرَأُونَ مُفَكِّرَةً رُوحِيَّةً لِرَجُلٍ أحَبَّ نامُوسَ اللهِ ولَرُبَّما حاوَلَ جاهِداً أكثَرَ من أيِّ رَجُلٍ آخر أن يحفظَ النَّامُوس.

"فإنَّنا نعلَمُ أنَّ النَّامُوسَ رُوحِيٌّ، وأمَّا أنا فجَسَدِيٌّ مَبيعٌ تحتَ الخَطِيَّة. لأنِّي لستُ أعرِفُ ما أنا أفعَلُهُ، إذ لَستُ أفعَلُ ما أُريدُهُ، بل ما لَستُ أُريدُهُ فإيَّاهُ أفعَلُ. فإن كُنتُ أفعَلُ ما لَستُ أُريدُهُ، فإنِّي أُصادِقُ النَّامُوسَ أنَّهُ حَسَنٌ. فالآن لَستُ بعدُ أفعَلُ ذلكَ أن بَلِ الخَطيَّة السَّاكِنَة فِيَّ. فإنِّي أعلَمُ أنَّهُ ليسَ ساكِنٌ فيَّ أي في جَسَدِي شَيءٌ صالِحٌ. لأنَّ الإرادَةَ حاضِرَةٌ عندي، وأمَّا أن أفعَلُ الحُسنى فَلَستُ أجِدُ. لأنِّي لستُ أفعَلُ الصَّالِحَ الذي أُريدُهُ، بَلِ الشَّرّ الذي لَستُ أُريدُهُ فإيَّاهُ أفعَل. فإن كُنتُ ما لَستُ أُريدُهُ فإيَّاهُ أفعَلُ فَلَستُ بَعدُ أَفعَلُهُ أنا، بَلِ الخَطيَّة السَّاكِنَة فِيَّ. إذاً أجِدُ النَّامُوسَ لي حِينما أُريدُ أن أفعَلَ الحُسنى، أنَّ الشَّرَّ حاضِرٌ عندي. فإنِّي أُسَرُّ بِنامُوسِ اللهِ بِحَسَبِ الإنسانِ الباطِنِ. ولكنِّي أرى نامُوساً آخَرَ يُحارِبُ نامُوسَ ذهني ويَسبِيني إلى نامُوسِ الخَطيَّة السَّاكِنِ في أعضائي. وَيحي أنا الإنسان الشَّقِيّ. من يُنقِذُني من جَسَدِ هذا المَوت. أَشكُرُ اللهَ بِيَسُوع المسيح رَبِّنا. إذاً أنا نَفسي بِذهني أخدِمُ نامُوسَ اللهِ، ولكن بالجَسَد نامُوسَ الخَطيَّة." (رومية ٧: ١٤- ٢٥)

الجُملَةُ الإفتِتاحِيَّةُ لبُولُس حِيالَ صِراعِهِ للتَّغلُّبِ على الخَطيَّة، مُرتَبِطٌ بما تعلَّمَهُ عن نفسِهِ. فهُوَ يكتُبُ قائِلاً: "أمَّا أنا فجَسَدِيٌّ مَبِيعٌ تحتَ الخَطيَّة." إنَّ كلمة "جسديّ" هي ترجَمَةٌ للكلمة اليُونانِيَّة "جسد." وهُوَ يتابِعُ قائِلاً لنا أنَّهُ لا يَسكُنُ فيهِ – أي في جَسَدِهِ – أيُّ شَيءٍ صالِح.

يستَخدِمُ بُولُس كَلِمَة "جسد" مراراً وتكراراً في كتاباتِهِ. لهذا فمنَ المُهِمِّ لنا أن نفهَمَ ما يقصدُهُ عندما يستخدِمُ هذه الكلمة. أحدُ مَشاهِيرِ مُفَسِّري ومُعَلِّمي الكتابِ المُقدَّس في جامِعَة إدنبره في سكوتلندا، كانَ يُؤمِنُ بأنَّ التَّعريفَ الدَّقيق لهذه الكلمة التي يستخدِمُها بُولُس ينبَغي أن يَكُون: "الطَّبيعَة الإنسانِيَّة بِدُونِ مُساعَدَةِ الله."

عندما يختُمُ بُولُس بأنَّهُ لا يسكُنُ فيهِ أي في جسدِهِ أيُّ شَيءٍ صالِح، يقصُدُ أنَّهُ لا يَسكُنُ أيُّ شَيءٍ صالِح في طبيعَتِهِ الإنسانيَّة، عندما تَكُونُ طَبيعَتُهُ هذه غير مُساعَدَة منَ الله. علينا أن نُضيفَ أنَّ أُولئكَ الذين يعيشُونَ في الجسد، أو في طبيعَتِهِم البَشَرِيَّة بِدُونِ أيَّةِ مُساعَدَةٍ منَ الله، يعيشُونَ

بحَسَبِ قيَمِ وفلسَفَةِ الطَّبيعَةِ البَشَريَّة التي ليسَ لها وُصُولٌ إلى النِّعمَةِ والحَقِّ المُعلَنانِ والمَنصُوح بهما في كلمةِ الله.

هذا التَّعريفُ لهُ تطبيقاتٌ عمليَّةٌ بالِغَةُ الأهمِّيَّة من قِبَلِ أيِّ مُؤمِنٍ يُريدُ أن يَعيشَ بإستِقامَةٍ، لأنَّهُ قد تبرَّرَ بالإيمان. عندما ينظُرُ بُولُس إلى قَلبِهِ، نراهُ صادِقاً وشَفَّافاً حِيالَ ما يراهُ في طبيعَتِهِ الإنسانيَّة. وليسَ فقط أنَّهُ لا يَجِدُ أيَّ شَيءٍ صالِح، بل يكتَشِفُ نامُوساً آخر، الذي عندما يَرغَبُ بأن يعمَلَ الصَّلاح، يرى الشَّرَّ حاضِراً عندَهُ.

بِكَلماتٍ أُخرى، عندما نظَرَ إلى داخِلِ طبيعَتِهِ البَشَريَّة، إكتَشَفَ نامُوسَ الخَطِيَّة. يُوافِقُ بُولُس مع ما قالَهُ لهُ نامُوسُ اللهِ أن يعمَلَهُ وآمنَ أنَّ نامُوسَ اللهِ كانَ صالِحاً. بالحقيقَة، لقد أحَبَّ نامُوسَ الله. ولَرُبَّما قالَ في نفسِهِ، كَفَرِّيسيٍّ بالِغِ الإنضِباط، أنَّ حفظَ النَّامُوس كانَ يعتَمِدُ بِبَساطَةٍ على قُوَّةِ الإرادَة. ولكنَّهُ الآنَ يُخبِرُنا أنَّهُ بِسَبَبِ نامُوسِ الخَطِيَّةِ هذا، إكتَشَفَ أنَّهُ عندما قَرَّرَ أن يُطيعَ نامُوسَ الله، قَرَّرَ في النِّهايَةِ أنَّ المُشكِلَةَ في قُوَّةِ إرادَتِهِ كانت أنَّ إرادَتَهُ كانت بإستِمرار معدُومَةَ القُوَّة.

ولقد إستَنتَجَ أيضاً أنَّ نامُوسَ الخَطِيَّةِ كانَ في حَربٍ معَ ما يُسَمِّيهِ "نامُوس ذهنِهِ." إنَّهُ يشهَدُ إلى أنَّ معرَكَتَهُ معَ الخَطِيَّة لم تُحسَم في ميدانِ قُوَّةِ إرادَتِهِ، ولا في قُواهُ العقليَّة الجَبَّارَة. فبعدَ إعترافِهِ اليائِس بأنَّهُ إنسانٌ شَقِيٌّ ساقِط، نَجِدُه يصرُخُ طالِباً الإنقاذ. ثُمَّ يُعلِنُ أنَّ المَعرَكَةَ معَ الخَطِيَّة هي حَربٌ رُوحِيَّةٌ، ولا يُمكِنُ أن تُربَحَ بمُجَرَّدِ النَّظَرِ إلى الدَّاخِل. بِحَسَبِ بُولُس، لا هُوَ ولا نحنُ لن نَجِدَ بمُجَرَّدِ النَّظَرِ إلى داخِلِنا، أيَّ شَيءٍ يَمنَحُنا القُوَّة لنَربَحَ معارِكَنا معَ الخَطِيَّة. فمعارِكُنا معَ الخَطِيَّة ستُربَحَ فقط عندما يُضيفُ اللهُ بُعداً رُوحيَّاً لطبيعَتِنا البَشَريَّة. هذا يعني أنَّه عندما نتبرَّرُ بالإيمان، نامُوسُ الخَطِيَّة لن يُنزَعَ من جسَدِنا.

وإذ ينتَقِلُ إلى الإصحاحِ التَّالِي، نَجِدُهُ سيُعلِنُ الأخبارَ السَّارَّةَ أنَّنا عندما نتبرَّرُ بالإيمان، سيُضافُ شَيءٌ رُوحِيٌّ خارِقٌ للطَّبيعَة ومُعجِزِيٌّ إلى جَسَدِنا. ولكن، حتَّى بعدَ أن تحدُثَ مُعجِزَةُ الإضافَةِ هذه، سوفَ يتبقَّى علينا أن نتعايَشَ معَ الحقيقَةِ الصَّعبَة أنَّ نامُوسَ الخَطِيَّة سيبقَى حاضِراً معنا، طالَما لا زِلنا نَعيشُ في هذه الأجساد البَشَريَّة. عندما يحيا المسيحُ الحَيُّ المُقَامُ في قُلُوبِنا، من خِلالِ مُعجِزَةِ الرُّوحِ القُدُس، سوفَ نكتَشِفُ عندَها أنَّ

الذي فينا هُوَ أعظَمُ منَ الذي يُحَرِّكُ فينا قُوَّةَ الخَطيَّة – أي الشِّرِّير – وسوفَ نكتَشِفُ إنتِصارَنا وغَلَبَتنا في المسيح.

رُومية الإصحاح الثَّامِن: الإنتِصار!

مبدآنِ رُوحِيَّانِ إضافِيَّان لِبُولُس الرَّسُول

إذ ننتَقِلُ منَ الإصحاحِ السَّابِع إلى الإصحاحِ الثَّامِن من هذه الرِّسالَة، أُذَكِّرُكُم أنَّهُ عندما كتبَ بُولُس هذه الرِّسالَة، لم تَكُنْ مُقَسَّمَةً إلى إصحاحاتٍ وأعداد. غالِباً ما تَحدُثُ تقسيماتُ الإصحاحاتِ في مُنتَصَفِ تصريحٍ عميق، وهذه هي الحالُ هُنا حيثُ يكتُبُ بُولُس وحيثُ يُقاطِعُ تقسيمُ الإصحاحِ المَنطِقَ المُوحَى بهِ لما كانَ يُعَلِّمُهُ بُولُس.

لاحِظُوا وُجُودَ الكلمة المُهِمَّة "إذاً" في بدايَةِ الإصحاحِ الثَّامِن من هذه التُّحفَة اللاهُوتيَّة. عندما تُفَكِّرُونَ بِسَبَبِ وُجُودِ هذه الكلمة هُناك، عليكُم أن تُدرِكُوا أنَّ هذه الكلمة تَربِطُ بين ما كانَ بُولُس على وشَكِ أن يُعَلِّمَهُ في الإصحاحِ الثَّامِن، معَ ما كانَ يُعَلِّمُهُ سابِقاً. منَ الواضِحِ أنَّ التَّعليمَ الذي سيُقَدِّمُهُ في الإصحاحِ الثَّامِن سيُتابِعُ ما قدَّمَهُ سابِقاً في الإستِعاراتِ التي بدأَ بها الإصحاحَ السَّابِع، بِطَريقَةٍ شفَّافَةٍ صادِقَة، يفسَحُ لنا المجال للنَّظَرِ إلى دفتَرِ يومِيَّاتِهِ الرُّوحيَّة بِخُصُوصِ صراعاتِهِ الشَّخصِيَة معَ الخَطيَّة، الأمرُ الذي جاءَ لاحِقاً لهذه الإستِعارات خاصَّةً الكَلِماتِ الأخيرة التي كانَ يكتُبُها عندما بدأَ الإصحاح ٨.

أيضاً فَتِّشُوا عنِ المبدأين الرُّوحِيَّين الثَّالِث والرَّابِع، من خلالِ سماحِ بُولُس لنا قراءَةَ المزيد من دفتر يومِيَّاتِهِ الرُّوحيَّة: "إذاً لا شَيءَ من الدَّينُونَةِ الآن على الذي هُم في المسيح يسُوع، السَّالِكِينَ ليسَ حسبَ الجَسد بَل حسبَ الرُّوح. لأنَّ نامُوسَ رُوحِ الحياة في المسيح يَسُوع قد أعتَقَني من نامُوسِ الخَطيَّةِ والمَوت. لأنَّهُ ما كانَ النَّامُوسُ عاجِزاً عنهُ فيما كانَ ضَعيفاً بالجَسد، فاللهُ إذ أرسَلَ إبنَهُ في شِبهِ جسدِ الخَطيَّة، دان الخَطيَّةَ في الجَسد. لِكَي يَتِمَّ حُكمُ النَّامُوسِ فينا نحنُ السَّالِكِينَ ليسَ حسبَ الجَسد، بل حَسَبَ الرُّوح.

"فإنَّ الذينَ هُم حَسَبَ الجَسَد فَبِما لِلجَسَدِ يَهتَمُّونَ، ولكنَّ الذين هُم حَسَبَ الرُّوح فَبِما لِلرُّوحِ. لأنَّ إهتِمامَ الجَسَدِ هُوَ موتٌ ولكنَّ إهتِمامَ الرُّوحِ

هُوَ حَياةٌ وسَلام. لأنَّ إهتِمامَ الجَسَد هُوَ عَداوَةٌ لله إذ لَيسَ هُوَ خاضِعاً لنامُوسِ اللهِ لأنَّهُ أيضاً لا يَستَطيعُ. فالذينَ هُم في الجَسَد لا يَستَطيعُونَ أن يُرضُوا اللهَ.

"وأمَّا أنتُم فَلَستُم في الجَسَد بَلْ في الرُّوح إن كانَ رُوحُ اللهِ ساكِناً فيكُم. ولكن إن كانَ أحدٌ ليسَ لهُ رُوحُ المسيح فذلكَ ليسَ لهُ. وإن كانَ المَسيحُ فيكُم فالجَسَدُ مَيِّتٌ بِسَبَبِ الخَطيَّة، وأمَّا الرُّوحُ فَحياةٌ بِسَبَبِ البِرّ. وإن كانَ رُوحُ الذي أقامَ يسُوعَ من الأمواتِ ساكِناً فيكُم، فالذي أقامَ المسيحَ من الأموات سيُحيِي أجسادَكُم المائِتَة أيضاً بِرُوحِهِ السَّاكِن فيكُم.

"فإذاً أيُّها الإخوة نحنُ مَديُونُونَ لَيسَ لِلجَسَد لِنَعيشَ حَسَبَ الجَسَد. لأنَّهُ إن عِشتُم حسبَ الجَسد فسَتَمُوتُون. ولكن إن كُنتُم بالرُّوحِ تُمِيتُونَ أعمالَ الجَسدَ فسَتَحيَون." (رُومية ٨: ١- ١٣)

المبدأُ الرُّوحِيُّ الثَّالِث: نامُوس رُوح الحَياة في المسيحِ يسُوع

هُناكَ ثلاثُ حقائِق هامَّة في الجُملَةِ الإفتِتاحِيَّة منَ هذا الإصحاحِ الثَّامِن. فإذا رَجَعنا إلى ما بدأَ بُولُس بتعليمِهِ في العددِ السَّابِع عشَر منَ الإصحاحِ الأوَّل، فإنَّ كلمة "إذاً" تُقَدِّمُ للخُلاصةِ التي تَقُولُ بأنَّهُ لا دَينُونَة الآن على الذِينَ هُم في المسيحِ يسُوع، السَّالِكِينَ ليسَ بِحَسَبِ طبيعَتِهِم البَشَريَّة، بِدُونِ مُساعَدَةٍ منَ الله، بل بِحَسَبِ الرُّوح. لقد علَّمَ كُلٌّ من يسُوع وبُولُس أنَّ الذين لا يُؤمِنُونَ سيُدانُونَ لأنَّهُم لم يُؤمِنُوا (يُوحَنَّا ٣: ١٨). وعَلَّما كِلاهُما أيضاً أنَّ الإيمان – بِعَمَلِ إبنِ اللهِ المُتَمَّم من أجلِ الخلاص – يُزيلُ الدَّينُونَةَ الأبديَّة.

سيُظهِرُ بُولُس لاحِقاً في هذا الإصحاح أنَّ المسيحَ الحَيَّ المُقام لا يَدينُنا عندما نفشَلُ أو نُقَصِّرُ عن مِقياسِ تمجيدِ اللهِ في كُلِّ فكرَةٍ، كَلِمَةٍ، أو عمَل. إنَّهُ أبانا السَّماوِيّ الكامِل، ونقرأُ أنَّهُ مثل كُلّ أب صالِح، يُشفِقُ على أولادِهِ ويذكُرُ أنَّنا تُرابٌ (مزمُور ١٠٣: ١٤).

هل بإمكانِكُم أن تَتَصَوَّرُوا أباً أرضِيَّاً يُعَلِّمُ طفلَهُ المَشِي، وهُوَ ينتَهِرُ أو حتَّى يُعاقِبُ طفلَهُ عندَما يتعثَّرُ أو يسقُطُ خلالَ تعلُّمِهِ المَشي؟ لقد قامَ يسُوعُ بهذه المُقارَنة نفسِها عندما علَّمَ أنَّنا إذا تَعَلَّمنا كيفَ نُعطي أشياءَ صالِحَة لأطفالِنا، فعلينا أن نُدرِكَ أنَّ أبانا السَّماوِيّ سيُعطينا حتماً الرُّوحَ

القُدُس وعلاقَةً معَ إلهِنا، عندما نطلُبُ منهُ ذلكَ (لُوقا ١١: ١١- ١٣). فهكذا آبٌ سماوِيٌّ صالِح لن يدينَنا عندَما نسقُط.

يُعَلِّمُ بُولُس حقيقَةً ثانِيَةً هامَّة عندما يُوافِقُ معَ قولِ يعقُوب أنَّ "الإيمان يعمَل" و "الإيمان يمشِي." (يعقُوب ٢: ١٤- ٢٦). فالإيمانُ وحدهُ يستَطيعُ أن يُخَلِّص، ولكنَّ الإيمانَ الذي يُخَلِّص لا يبقى وحدَهُ أبداً. وأُولئكَ الذين لن يُدانُوا لأنَّهُم مُتَبَرِّرُونَ بالإيمان، يُصادِقُونَ على إيمانِهِم بإظهارِ كَونِهِم لا يَسيرُونَ بِحَسَبِ الجَسَد بَل بِحَسَبِ الرُّوح. هُناكَ فرقٌ بينَ السُّلُوكِ بِحَسَبِ الجَسد وبينَ كَونِ الإنسان في الجَسد. فالسُّلُوك بِحَسَبِ الجَسد هُوَ خَيَارٌ قد يتَّخِذُهُ أشخاصٌ رُوحِيُّون. أمَّا كَونُ الإنسان في الجَسَد فهُوَ حالَةُ الإنسان غير الرُّوحِيّ أو الطَّبِيعيّ، بِدُونِ أيَّةِ علاقَةٍ معَ الله، والذي لا يَستَطيعُ أن يفهَمَ الأُمُورَ الرُّوحِيَّة (١كُورنثُوس ٢: ١٤).

حقيقَةٌ ثالِثَة يُعَلِّمُها بُولُس في هذا التّصريح الإفتِتاحِيّ نَجِدُها في هاتَينِ الكَلِمَتَينِ اللَّتَينِ يستخدِمُهُما بُولُس حوالي مائَتي مرَّة في العهدِ الجديد. إحدَى الطُّرُق المُفضَّلَة عندَ بُولُس لوصفِ الخُطاة المُبَرَّرِين الذين إكتَشَفُوا هذا المبدأ الرُّوحِيّ الثَّالِث، هُو بالقَول أنَّهُم "في المسيح." بهذا التَّحديد يقصُدُ بُولُس أنَّهُم في المسيح، كما يَكُونُ الغُصنُ في الكَرمة، أو ثابِتاً في الكرمة، التي منها تَستَمِدُّ الحياةَ التي تُمَكِّنُ هذه الأغصان منَ الإثمَار (يُوحَنَّا ١٥: ١- ١٦).

ثُمَّ يُقدِّمُ بُولُس مبدَأَهُ الرُّوحِيَّ الثَّالِث، عندما يكتُبُ قائِلاً: "نامُوس رُوح الحياة في المسيح يسُوع قد أعتَقَني من نامُوسِ الخَطِيَّةِ والمَوت." عندما يُخبِرُنا ماذا بإمكانِ هذا المبدأ أن يعمَلَ، يرجِعُ إلى مبدَئِهِ الثَّانِي، وهذه المرَّة يُضيفُ كَلِمَتَينِ على ذلكَ المبدأ. يُسَمِّيهِ "نامُوس الخَطيَّة والمَوت." يَربِطُ هذا الأمرُ بينَ مبادِئ بُولُس الرُّوحيَّة الأربَعة، وبينَ الفاتِحينَ الأربَعة الذينَ قدَّمَهُم في الإصحاحِ الخامِس. أتَذكُرُونَ الملك خَطِيَّة والمَلِك مَوت؟ فعاقِبَةُ المَوتِ دائماً تتبَعُ الخَطيَّة.

وتماماً كما كانَ الفاتِحَانِ الأوَّلانِ يُمَثِّلانِ الأخبارَ السَّيِّئَة، والفاتِح الثَّالِث والرَّابِع يُمَثِّلانِ الأخبارَ السَّارَّة، هكذا أيضاً المبدآنِ الرُّوحِيَّانَ الأوَّلانِ يُمَثِّلانِ الأخبارَ السَّيِّئَة، والمبدأ الثَّالِث والرَّابِع يُمَثِّلانِ الأخبارَ السَّارَّة. الأخبارُ السَّارَّةُ عن هذا المبدأ أو النَّامُوس الرُّوحِيّ الثَّالِث هي أنَّهُ

يُحَرِّرُنا من نامُوسِ الخَطِيَّةِ والمَوت. تَصَوَّرْ طائِرَةً تجارِيَّةً ضخمَة تهدُرُ على مَدرَجِ الإقلاع إلى أن تَصِلَ إلى السُّرعَةِ الكافِيَة فتُقلِعُ عنِ المَدرَجِ مُرتَفِعَةً كالمَصعَد، حامِلَةً على متنِها حوالي ٣٧٥ راكِباً وعدَّة أطنان منَ الحقائِب والمعدَّات، ثُمَّ تُحَلِّقُ إلى إرتِفاعٍ يُناهِزُ العشرَة آلاف مِتراً.

ذاتَ مَرَّة، كُنتُ أُلقِي عِظَةً عن المبدأ الرُّوحِيّ الثَّالِث، وإستَخدَمتُ هذا الإيضاح. وإعتَرَفتُ أنَّني لم تَكُنْ لدَيَّ أيَّة فكرة عن كيفَ ترتَفِعُ الطَّائِرَةُ النَّفَّاثَةُ في السَّماء، رُغمَ أنَّني سافَرتُ فيها عدَّةَ مرَّاتٍ. فجاءَ بروفسور في الفيزياء، وكانَ رَجُلاً تقيّاً وقد سَمِعَ عِظَتي، وشرَحَ لي لاحِقاً بكُلِّ أناةٍ كيفَ يحدُثُ هذا الأمر.

كانَ تفسيرُهُ يعني أنَّهُ عندما تهدُرُ الطَّائِرَةُ الضَّخمَةُ على مدرَجِ المطار، يدفَعُها زُخمُ مُحَرِّكاتِها للُوصُولِ إلى سُرعَةٍ يتفوَّقُ معها قانُونُ الطَّيران النَّفَّاث المعروف بِ Aerodynamics، أي قانُون الدَّفع النَّفَّاث على قانُونِ الجاذِبيَّة. وعندما يتفوَّقُ قانُونُ الدَّفعِ النَّفَّاث على قانونِ الجاذِبيَّة، ترتَفِعُ الطَّائِرَةُ في السَّماءِ وتُحَلِّقُ إلى إرتِفاعِ عشرة آلاف متراً، وتجتازُ آلافَ الكِيلومترات، إلى أن تَصِلَ إلى غايَتِها المَنشُودة.

الآن تأمَّلُوا بهذا المبدأ أو النَّامُوسِ الرُّوحِيِّ الثَّانِي، نامُوس الخَطيَّة والمَوت، وأنظُرُوا إليهِ على أساس أنَّهُ قانُونُ "الجاذِبيَّة الرُّوحِيّة،" الذي يشُدُّ بنا إلى أسفَل، ولا يسمَحُ لنا بالتَّحليقِ رُوحيّاً. عندَما يُقَدِّمُ بُولُس مبدأَهُ الرُّوحيّ الثَّالِث، يكتُبُ قائِلاً أنَّ نامُوسَ رُوحِ الحياةِ في المسيح يسُوع هُوَ أشبَهُ بقانُونِ الدَّفعِ النَّفَّاث رُوحيّاً، الذي يَرفَعُنا ويجعَلُنا نُحَلِّقُ فوقَ سُلطَةِ وعواقِبِ نامُوسِ الخَطيَّةِ والمَوت.

الأخبارُ السَّارَّةُ من هذا المبدأ أوِ النَّامُوسِ الرُّوحيِّ الثَّالِث، تُشَكِّلُ جزءاً من العهدِ الجديد منذُ كتابَتِهِ. ألا يتوجَّبُ علينا إذاً أن نتوقَّعَ من كُلِّ المُؤمنينَ المُبَرَّرِينَ أن يُحَلِّقُوا فوقَ نامُوسِ وعواقِبِ الخطيَّة؟ ما هُوَ الإختبارُ الواقِعيُّ للكَثيرِ منَ الخُطاةِ الذين تبرَّرُوا بالإيمانِ ويُواظِبُونَ على حُضُورِ كنائِسِنا؟

إستِناداً إلى مُلاحَظاتِ شخصٍ إستَمَرَّ في خدمَةِ رعايَةِ الكنائِس كَقَسِّيسٍ لأكثَرِ من نِصفِ قَرن، أنا مُقتَنِعٌ أنَّ الجوابَ الصَّادِق والبَسيط على هذا السُّؤال هُوَ أنَّ الكثيرِينَ منَّا، في مُعظَمِ الأحيان، نُشبِهُ طائِرَةً ضخمَةً

تقبَعُ على مَدرَجِ مَطارِ الحياة، وهِي مُزَوَّدَةٌ بمُحَرِّكاتٍ ضَخمَة قادِرة على حَملِها وجعلِها تتغلَّبُ على قانُونِ الجاذِبيَّة الرُّوحيَّة، ولكنَّ هذه الطَّائِرَة تبقَى تهدُرُ وتهدُرُ وتهدُرُ بِضَجيجٍ عالٍ لعشرينَ، ثلاثِينَ، أربَعين عاماً، أو لنهايَةِ حياتِنا، بدُونِ أن ترتَفِعَ قَيدَ أُنمُلَةٍ واحِدَةٍ عنِ المدرَجِ! فلماذا نحنُ لا نُحَلِّقُ فوقَ كُلِّ ما هُوَ مُمَثَّلٌ بنامُوسِ الخَطيَّةِ و المَوت، رُغمَ كَونِ كِلفَةِ التَّحليق الباهِظَة قد سُدِّدَ ثَمنُها بالكامِل؟

المبدأُ الرُّوحِيُّ الرَّابِع: مبدأُ "الذِّهنيَّة" أو طريقَةِ التَّفكير

نحنُ بِبَساطَةٍ لا نعرِفُ كيفَ نُطَبِّقُ نعمَةَ الله – أو هذا المبدأ الرُّوحيّ الثَّالِث، إن كُنَّا لا نفهَمُ المبدأَ الرُّوحِيَّ الرَّابِع الذي وضَعَهُ هذا الرَّسُولُ العَظيم. فَتِّشُوا عن هذا المبدأ الرُّوحِيّ الرَّابِع بينما تقرَأُونَ هذه الأعداد مُجَدَّداً: "فإنَّ الذين هُم حَسَبَ الجَسَد فَبِما لِلجَسَدِ يَهتَمُّون، ولكنَّ الذينَ حَسَبَ الرُّوح فَبِما لِلرُّوح. لأنَّ إهتِمامَ الجَسَد هُوَ مَوتٌ ولكنَّ إهتمامَ الرُّوح هوَ حياةٌ وسلام. لأنَّ إهتِمامَ الجَسَد هُوَ عَداوَةٌ لله، إذ ليسَ هُوَ خاضِعاً لِنامُوسِ الله لأنَّهُ أيضاً لا يَستَطيع. فالذين هُم في الجَسَد لا يَستَطيعُونَ أن يُرضُوا الله." (رُومية ٧: ٥- ٨).

مَفهُوم الذِّهنيَّة، أو طريقَة التَّفكير، بالِغُ الأهمِّيَّةِ بالنِّسبَةِ للأبطالِ الرِّياضِيِّين وللفِرَق الرِّياضِيَّة. فغالِباً ما تفشَلُ أفضَلُ الفِرَق الرِّياضِيَّة بالفَوزِ بكأسِ الألعابِ الأولمبيَّة الذَّهبِيّ. الفِرَقُ التي تَفُوزُ أو الأفرادُ الذين يَفُوزُون، هُم أولئكَ الذين يتمتَّعُونَ بأفضَلِ ذِهنِيَّة.

الدِّبلُوماسِيُّون الذين لَديهم تحدِّياتٍ صَعبة يُواجِهُونَها، من تجنُّبِ الحَرب بإقناعِ القُوَى العُظمى بأنَّ السَّلامَ أفضَلُ من الحَرب، عليهِم أن يُطَوِّرُوا ذهنِيَّةً صَحيحَة قبلَ أن يدخُلُوا في مُفاوضاتِهِم الصَّعبَة. مُدراءُ المَبيعات، الأطِبَّاءُ الذين يُجرُونَ عمليَّاتٍ جِراحِيَّة تُقَرِّرُ مَوتَ أو حياة المريض، وآخرُونَ ينتَمُونَ لكُلِّ مهنَةٍ أو تِجارَةٍ أو عمَلٍ، ويسلُكُونَ في الحياةِ، ينبَغي أن يَكُونَ لَديهِم ذهنِيَّة صَحيحَة لكَي ينجَحُوا.

بالتَّأكِيد، مهما كانت الذِّهنيَّة أو طريقَة التَّفكير عمليَّةً لِلغايَة، ولكن ليسَ لها مكانٌ في إنتِصارِنا على الخَطيَّة – أم يا تُرى سيَكُونُ لها مكانٌ؟ في المقطَعِ الذي إقتَبَسنا منهُ أعلاهُ، بينما يُخبِرُنا عنِ المبدأ الرُّوحِيّ الرَّابِع،

الذي هُوَ الجزءُ الخَطِر من إنتِصارِنا على سُلطَةِ الخطيَّة، يُشيرُ بُولُس خمسَ مرَّاتٍ إلى الذهنيَّة أو طريقَةِ التَّفكير.

هل أعلَنَ نامُوسُ اللهِ نامُوسَ الخَطيَّة في حياتِكَ؟ وهل إكتَشَفتَ الأخبارَ السَّارَّة المُعجِزيَّة عن نامُوسِ رُوحِ الحياة في المسيح يسُوع؟ وهل تُحَلِّقُ فوقَ سُلطَةِ الخطيَّة؟ وهل تنتَصِرُ على قانُون "الجاذِبيَّة الرُّوحيّ" بواسِطَةِ "قُوَّةَ الدَّفع النَّفَّاثَة الرُّوحِيَّة؟" أم أنَّكَ لا تزالُ تَتسابَقُ معَ "مُحَرِّكاتِ طيرانِكَ" الرُّوحِيَّة على مدرَجِ الحياة، بِدُونِ أن تتوصَّلَ إلى الإقلاعِ رُوحيَّاً؟ إن كانَ جوابُكَ على هذا السُّؤال هُوَ "نعم"، فأنتَ بِحاجَةٍ ماسَّةٍ إلى هذا المبدأ الرُّوحِيِّ الرَّابِع منَ الرَّسُول بُولُس: نامُوس الذِّهنيَّة.

بِحَسَبِ بُولُس، عندما يَكُونُ لدَينا نامُوس رُوح الحياة في المسيح يسُوع مُتَوفِّراً لنا، بسببِ كَونِ المسيحِ الحَيِّ المُقام يحيا فينا، يَكُونُ لدَينا خَيارَان: بإمكانِنا أن نختارَ أن نَحيا ونَسلُكَ بِحَسَبِ الجَسَد (أي طبيعتنا البَشَريَّة بِدُونِ مُساعَدَةِ الله)، أو بإمكانِنا أن نختارَ أن نحيا ونسلُك بِخُضُوعٍ لسَيطَرَةِ الرُّوحِ القُدُس (غلاطية ٥: ١٦- ٢٣).

كتبَ بُولُس يَقولُ لاحِقاً أنَّهُ ليسَ في الجَسدِ بل في الرُّوح، وأضافَ هذا التَّحذير: إن كانَ الرُّوحُ لا يسكُنُ فينا، لا نَكُونُ لهُ ولا نَكُونُ ننتَمِي لله. هذا ليسَ التَّعليمَ نفسَهُ كالعَيشِ بِحَسَبِ الجسد، والسُّلوك في الجَسَد، أو جعل الذِّهنيَّة بِحَسَبِ الجَسَد.

يقسِمُ بُولُس العائِلَة الإنسانِيَّة بِكامِلِها إلى مَجمُوعَتَين: الأشخاص الرُّوحِيِّين والأشخاص غير الرُّوحِيِّين. الشَّخصُ الذي لا يزالُ في الجَسد، هُوَ الإنسان غير الرُّوحِيّ أو الإنسان الطَّبيعيّ الذي يتكلَّمُ عنهُ بُولُس عندما يُخاطِبُ الكُورنثُوسِيِّين. بِحَسَبِ بُولُس، هذا الإنسان الطَّبيعيّ لا يَستطيعُ أن يستوعِبَ المفاهِيم الرُّوحيَّة؛ فهِيَ جهالَةٌ بالنِّسبَةِ لهُ، لأنَّ الأشخاصَ الرُّوحِيِّينَ وحدَهُم يستَطيعُون أن يَفهَمُوا الحقيقَةَ الرُّوحِيَّة (١كُورنثُوس ٢: ٩- ١٦).

عندما يكتُبُ هذا الرَّسُولُ عن العيش بِحَسَبِ الجَسد، يقصُدُ شيئَاً مُختَلِفاً تماماً عمَّا يُعَلِّمُ بهِ عندما يستَخدِمُ العِبارَة "في الجَسَد." يُعلِنُ بُولُس هُنا أنَّ أُولئكَ الأشخاص الرُّوحِيِّين، الذين يختارُونَ بأن يَعِيشُوا بِحَسَبِ الجَسَد، يُرَكِّزُونَ أفكارَهُم على الجَسَد كخَيارٍ طَوعِيّ، وأُولئكَ الأشخاصُ

الرُّوحِيُّون الذين يختارُونَ أن يعيشُوا بِحَسَبِ الرُّوح، يُرَكِّزُونَ أفكارَهُم على الرُّوح كخيارٍ طَوعِيٍّ عاقِلٍ.

يُعلِنُ بُولُس أنَّهُ حتَّى الأشخاص الرُّوحِيِّين، الذي إتَّخَذُوا هذا الإلتِزام بأن يَكُونُوا أتباعَ المسيح، لا يَستَطيعُونَ أن يُرضُوا اللهَ عندما يعيشُونَ بِحَسَبِ الجَسَد. وهُوَ يُضيفُ أنَّ الأشخاصَ الرُّوحِيِّين سيكتَشِفُونَ أيضاً أنَّنا عندما نُرَكِّزُ أذهانَنا على الجَسد، سوف نجدُ أنَّ الخَطِيَّةَ دائماً تلقَى عقابَها أو أُجرتَها. وهذه الأُجرة هي تلكَ المائِدَة منَ العواقِب السَّلبِيَّة الوخيمة التي يصِفُها بكَونِها "المَوت." (رُومية ٦: ٢٣؛ ٨: ٢) ولا يَقصُدُ بُولُس بالمَوتِ المَوتَ الحَرفِيّ أو الأبديّ، بل المَوت بمعنَى الإنفِصال عنِ الله، والإنفِصال عن تلكَ النَّوعيَّة منَ الحياة التي تنتُجُ عن معرِفَةِ الله (يُوحَنَّا ١٧: ٣).

الأشخاصُ الرُّوحِيُّون لدَيهم خَيارٌ لا يَملِكُهُ الأشخاصُ غَيرُ الرُّوحِيِّين. فأن نُرَكِّزَ ذِهنَنا على الرُّوح، يُؤَدِّي إلى حياةٍ رُوحيَّة – الأمرُ الذي يَصِفُهُ بُولُس بكَونِهِ "الحياة الفَيَّاضَة، أو حياة أفضَل." (يُوحَنَّا ١٠: ١٠). الرَّسُول يُوحَنَّا لَخَّصَ هذه الحقيقَة عندما كتبَ: "هذه هي الشَّهادَة: أنَّ اللهَ أعطانا حياةً أبديَّةً، وهذه الحياة هي في إبنِهِ. الذي لهُ الإبن لهُ الحياة، والذي ليسَ لهُ إبنُ اللهِ ليسَت لهُ الحياة." (١يُوحَنَّا ٥: ١١، ١٢).

علَّمَ يسُوعُ أنَّهُ إن كانَ ذِهنُنا بَسيطاً، أو سَليماً، فجسَدُنا كُلُّهُ سيُكُونُ مُنيراً، ولكن إن لم يَكُنْ ذِهنُنا بَسيطاً، فجسدُنا كُلُّهُ سيَكُونُ مُظلِماً. بِحَسَبِ يسُوع، الفَرقُ بينَ الحياةِ المملُوءَة بالنُّور (أي السَّعادَة) وبينَ الحياة المملوءَة بالظُّلمَة (أي عدَم السَّعادَة)، يكمُنُ في الطَّريقَة التي ننظُرُ بها إلى الأُمُور (متَّى ٦: ٢٢، ٢٣). لقد كانَ يسُوعُ يُصدِرُ تحذيراً صارِماً ضِدَّ ما يُمكِنُ تسمِيَتُهُ "الإنفِصام الرُّوحِيّ في الشَّخصِيَّة"، أو "الرُّؤية الرُّوحِيَّة المُزدَوِجَة." نقرأُ في يعقُوب ١: ٨ أنَّ رَجُلاً ذُو رأيين هُوَ مُتَقَلقِلٌ في جَميعِ طُرُقِهِ، وهُوَ مُتَرَدِّد، مُشَكِّكٌ، لا يُعتَمَدُ عليهِ، وغير مُتأكِّد من كُلِّ ما يُفَكِّرُ بهِ، وما يشعُرُ بهِ وما يُقَرِّرُهُ. يُصدِرُ بُولُس هذا النَّوع نفسَهُ منَ التَّحذير في الإصحاحِ السَّادِس، السَّابِع والثَّامِن من رِسالَتِهِ إلى أهلِ رُومية.

يسُوع، بُولُس، وباقي الرُّسُول والأنبياء، وَصَفُوا هذه الذِّهنيَّة الرُّوحيَّة غير السَّليمَة بعدَّةِ طُرُقٍ بَليغَة. النَّبِيُّ إيليَّا تحدَّى شعبَ اللهِ في

زمانِهِ قائِلاً: "إلى متَى تُعَرِّجُونَ بينَ الفِرقَتَين؟ إن كانَ الرَّبُّ هُوَ الله فإتبَعُوه." (١ملُوك ١٨: ٢١).

ولقد سجَّلَ الرَّسُول يُوحَنَّا رِسالَةً مفتُوحَةً منَ المسيحِ الحَيِّ المُقام إلى كنيسةِ أَفَسُس. كانَ يأخُذُ الوحيُ بآخِرِ سفرٍ من أسفارِ العهدِ الجديد، منَ المسيح المُقام، بينما كانَ مَنفِيّاً بِسَبَبِ إيمانِهِ على جَزيرَةِ بطمُس. وكانَ يَقُولُ جَوهَرُ الرِّسالَة: "كُنتُ أوَدُّكَ أن تَكُونَ حارّاً. ولكن إن لمَ تَكُنْ حارّاً، فكُنْ بارِداً. ومهما فعلتَ، لا تَكُنْ فاتِراً. فهذا يجعَلُني أشعُرُ بالغَثَيانِ في مِعدَتي، وبأن أرغَبَ بأن أتقيَّأَكَ من فَمي." (رُؤيا ٣: ١٥- ١٦).

ولقد كانَ يعقُوب، إلى جانِبِ بُطرُس وبُولُس، واحداً من عُظماءِ القادَة في الجيلِ الأوَّل من كنيسةِ العَهدِ الجَديد، ولقد علَّمَ المُؤمنينَ أن يطلُبُوا الحِكمَةَ منَ اللهِ عندما يَصِلُونَ إلى مرحَلَةٍ لا يعلَمُون فيها ماذا يفعَلُون. وكجزءٍ حيويٍّ من ذلكَ التَّحريض، شَجَّعَهُم يعقُوب، كما يُشَجِّعُنا نحنُ اليوم، على أن لا نتقلَّبَ بإيمانِنا، عندما يطلُبُونَ حِكمَةً منَ الله. فلا يُفتَرَضُ بنا أن نَكُونَ كمَوجِ البَحر، حيثُ تتقاذَفُنا الأمواجُ يمنَةً ويَسرَة. ولقد أسمى هذه المُشكلة التي تكلَّمَ عنها يسُوع وبُولُس وإيليَّا ويُوحَنَّا، بِقولِهِ: "رَجُلٌ ذُو رأيين، هُوَ مُتَقَلقِلٌ في جميعِ طُرُقِهِ."

التَّطبيقُ الشَّخصِيّ

سَمِعتُ مرَّةً عالِمَ نَفسٍ عِلمانِيّ يُسمِّي هذه المُشكِلَة، "أقسامُ المنطِق الضَّيِّقَة". فهُوَ يقُولُ لنا أن ننظُرَ إلى عُقُولِنا وكأنَّها حلقَة. في داخِلِ هذه الحلقَة لدَينا فِكرَة، التي هي فِكرَة إيجابِيَّة، كأن أقُول: لَدَيَّ إيمانٌ، ولن أقلَقَ بِشأنِ أيِّ أمر. ثُمَّ لدينا فِكرة أُخرى، التي هي صِراعٌ مُباشَر معَ فِكرَتِنا الأُولى. عندما تتصادَمُ هاتانِ الفِكرتانِ في عُقُولِنا، تُسَبِّبانِ قَرحَةً في المِعدَة، وإرتِفاعاً في ضَغطِ الدَّم، بالإضافَةِ إلى مشاكِلَ صِحِّيَّة أُخرى، التي تُواجِهُنا معَ الحقيقَةِ التي لن نتمكَّنَ من إنكارِها، وهي أنَّنا قَلِقُونَ لا بل أنَّنا نتراكَضُ بِهَلَعٍ وخوف!

لِكَي نَعيشَ معَ هذه الأفكارِ المُتناقِضَة، نبني جداراً خَيالِيّاً في وسطِ عُقُولِنا، ونعزِلُ هذه الأفكار في قِسمَين ضَيِّقَين منَ المَنطِق. وبينما نقلَقُ، لا نَسمَحُ لِنُفُوسِنا بأن نُفَكِّرَ بأنَّهُ لدينا إيمان. بل نَقُولُ لِنُفُوسِنا ولجميعِ الآخرين أنَّنا لا نَقلَقُ حيالَ أيِّ أمرٍ، لأنَّ لدينا إيمانٌ.

عندما نُؤَكِّدُ إيمانَنا ونَقُولُ لِنُفُوسِنا أنَّنا لا نَقلَقُ حيالَ أيِّ أمر، لا نَسمَحُ لفِكرَةِ إعتِرافِنا بأنَّ لدينا أعراض جسديَّة مَرَضِيَّة، الأمرُ الذي يجعَلُ نُكرانَ هذا القَلق مُستَحيلاً علينا. عندَها، يُمكِنُ لعَقلِنا بأن يُشارَ إليهِ بحلَقَةٍ معَ إشاراتٍ سَلبِيَّة وإيجابِيَّة، مُنفَصِلَة كُلٌّ منها عن الأُخرى بخَطٍّ صَغير – أي ذاكَ الجدار الخَيالِيّ في عُقُولِنا – الذي نرسُمُهُ وسطَ تلكَ الدَّائِرَة.

ويُضيفُ هذا البروفسُّور أنَّ كُلَّ فِكرَةٍ لدَينا تمُرُّ عبرَ خزَّاناتِ الذَّاكِرَة اللاواعِيَة، وتخلُقُ مُستَودَعاً منَ النِّزاع والصِّراع، الذي عادَةً ما يتسبَّبُ بعوارِضَ جسديَّة، التي هي بالتَّحديد رسائِل يُوجِّهُها عقلُنا اللاواعِي إلى عَقلِنا الواعي، بأنَّهُ منَ الأفضَل لنا أن نَجِدَ حلُولاً لهذه المشاكِل.

ثُمَ يُشَجِّعُ أُولئكَ الذين كانُوا يتدرَّبُونَ ليُصبِحُوا مُرشِدِين ليُزِيلُوا بِعنايَةٍ ذلكَ الجدار الخَيالِيّ الذي كانَ يفصِلُ ويعزِلُ الأفكارَ المُتضارِبَة عندَ الذين كانُوا يُقدِّمُونَ لهُم الإرشاد. ويُحَذِّرُهُم من أنَّ الاشخاصَ المُتَدَيِّين يحتاجُونَ إلى هذا النَّوع منَ الإرشادِ والمُعالَجة، أكثَر من أيِّ شَخصٍ آخر، لأنَّ الكَثيرينَ منهُم لدَيهِم تعايير سامِيَة جدَّاً وغير واقِعيَّة عنِ الإستِقامَةِ، التي لا يَقدِرُونَ على العَيشِ عَلى مُستَواها في حياتِهِم اليَوميَّة. ويختُمُ مُحاضَرَتَهُ بإعلانٍ أنَّ أُولئكَ الذينَ يُعَلِّمُونَ تلكَ المُطلَقاتِ الأخلاقِيَّة، يجعَلُونَ الناس مرضَى عقلِيَّاً.

علَّمَ يسُوعُ أنَّ كَلِمَةَ اللهِ هي حَقٌّ، وأنَّنا علينا أن نقرَأَ كلِمَةَ اللهِ باحِثِينَ عنِ الحَقّ. وعلاوَةً على ذلكَ، علينا أن نتَّخِذَ الإلتزام بأنَّنا عندما نَكتَشِفُ الحقّ في كَلِمَةِ الله، سنُطَبِّقُ هذا الحقّ على حَياتِنا الشَّخصِيَّة (يُوحَنَّا ١٧: ١٧؛ ٧: ١٧؛ ١٣: ١٧). هذه النَّظرَة التي عبَّرَ عنها الرَّبُّ يسُوع، شكَّلَت وصاغَت كُلِّيَّاً وجذرِيَّاً نظرَتي إلى كلمةِ الله. لقد إكتَشَفتُ – وسوفَ تكتَشِفُونَ أنتُم أيضاً – أنَّ هذه هي الطَّريقَة لنُبرهِنَ أنَّ كَلِمَةَ اللهِ هي مُوحاةٌ.

علَّمَ يسُوعُ أيضاً أنَّ كَلِمَتَهُ هي مثل الخمر الذي لم يختَمِرْ بعد. ولقد حذَّرَ من أنَّهُ إذا سُكِبَ خَمرُ تعليمِهِ في قِربَةٍ جِلديَّةٍ قديمَة، وتخمَّرَ هذا الخمرُ، فسوفَ يتمدَّدُ ويُشكِّلُ ضغطاً كبيراً على جِلدِ القِربَة. وإذا لم يتحمَّلْ جلدُ القِربَةِ ضغطَ الخمرِ المُتخمِّر، فإنَّ هذه القِربَة سوفَ تتمدَّدُ وتنفَجِر. هذا سيَعني أيضاً أنَّ النَّبيذ سوفَ يُتلَفُ ويضيع (لُوقا ٥: ٣٧، ٣٨).

كانَ يَسُوعُ يُحَذِّرُ أُولئكَ الذين سَمِعُوا تعليمَهُ من أنَّهُ إذا لم يقبَلُوا كَلِمَةَ اللهِ معَ الإلتِزامِ بتطبيقِ وطاعَةِ الحقّ الذي كانَ يُعلِّمُهُ، فإنَّ كلِمَتَهُ سوفَ تُدَمِّرُ عقُولَهُم. لقد شارَكتُ هذا المَثَل الذي قدَّمَهُ يسُوعُ، معَ بروفسُّور علم النَّفس. فكانَ جَوابُهُ، "هل تُخبِرُونَ النَّاسَ في كَنائِسِكُم عمَّا علَّمَهُ يسُوعُ في هذا المَثَل؟" فأكَّدتُ لهُ أنَّ هذا هُوَ ما نفعَلُهُ. لقد شارَكتُ هذا المَثل ليسُوع لحوالي عشرة عقُود منَ الزَّمن، وليسَ فقط في كنيستِي، بل وأيضاً معَ عدَّةِ عُلماءِ نفسٍ يُؤمِنُونَ أنَّ أُولئكَ الذين يُعَلِّمُونَ كلمَةَ اللهِ، يجعَلُونَ النَّاسَ مرضَى نفسِيَّاً.

خلالَ إكتِشاف وطاعَة الحقّ الذي إكتشَفتُهُ في كَلِمَةِ اللهِ منذُ ١٩٤٩، إستَنتَجتُ أنَّ الكتابَ المُقدَّس هُوَ بِجُملَتِهِ حقٌّ مُطلَق. ولكن، هُناكَ حقٌّ مُعلَن وحقٌّ مُكتَشَف. عندما يرى المُرشِدُونَ، القُضاةُ، الأطِبَّاء وآخرُونَ، عندما يَرونَ المئات منَ النَّاس في عَمَلِهِم، يكتَشِفُونَ الحَقَّ في حياةِ هؤُلاء الذين يلتَقُونَ بهِم في عملِهِم، سوفَ يكتَشِفُونَ أنَّ الكِتابَ المُقدَّس أخبَرَ مُسبَقاً بما إكتَشَفُوهُ، وأنَّ الكِتابَ المُقدَّس عَبَّرَ عن ذلكَ بطريقَةٍ أفضَل. بإمكانِنا القَول أنَّ الكتابَ المُقدَّس صحيحٌ لأنَّهُ مُوحَىً بهِ. بإمكانِنا أيضاً القَول أنَّ الكتابَ المُقدَّس مُوحىً بهِ لأنَّ الحقَّ الذي نَجِدُهُ فيهِ هَوَ حقٌّ مُطلَق.

خُلاصَة وتطبيق شَخصِيّ

أُشارِكُ معَكُم هذا المَثَل من علمِ النَّفس، لكَي أضعَ تعليمَ يسُوع وبُولُس وآخرينَ منَ الكتابِ المُقدَّس، في الإطارِ الصَّحيح. بينما تقرَأُونَ هذه الرِّسالَة من بُولُس إلى أهلِ رُومية، فَكِّرُوا بِحياتِكُم وكأنَّها دائِرة. تصوَّرُوا أنَّ هذه الدائِرَة التي تُمَثِّلُ حياتَكُم، مملوءَةٌ بإشاراتٍ إيجابِيَّة فقط. سيُشيرُ هذا إلى ما كانَ يُعَلِّمُهُ يسُوعُ عندَما قالَ أنَّهُ ينبَغي أن نتمتَّعَ بذهنٍ بَسيطٍ، إذا أردنا أن نتمتَّعَ بِحياةٍ مملُوءَةٍ بالنُّورِ والسَّعادَة. ستُشيرُ هذه الدَّائِرَة أيضاً إلى المَوضُوع الذي علَّمَ عنهُ بُولُس من خلالِ هذه المبادِئ أو النَّواميس الرُّوحيَّة الأربَعة.

الآن تصَوَّرُوا أنَّ هذه الدَّائِرَة فيها علاماتٌ إيجابِيَّةٌ وأُخرى سَلبِيَّة، معَ خَطٍّ يفصِلُ الدَّائِرَةَ من نِصفِها، فاصِلاً بينَ العلاماتِ الإيجابِيَّة والسَّلبِيَّة. العلاماتُ الإيجابِيَّة ترمُزُ لناموسِ الله، أو كلمَةِ الله. بكلماتٍ أُخرى، العلامات الإيجابِيَّة تُشيرُ إلى ما تُؤمِنُونَ أنَّها معايير الحياة المُستقيمَة، بناءً

على تعليمِ كَلِمَةِ الله. ثُمَّ عليكُم أن تُدرِكُوا أنَّ العلاماتِ السَّلبيَّة تُشيرُ إلى تصرُّفِكُم، الذي لا يَكُونُ على المُستَوى الذي تتطلَّبُهُ وتُمَثِّلُهُ العلاماتُ الإيجابِيَّة.

الدَّائِرَةُ المَقسُومَة تُشيرُ إلى إعتِرافِ بُولُس الصَّادِق – وهُوَ فَرِّيسيٌّ منَ الفَرِّيسيِّين – في الإصحاحِ السَّابِع من هذه الرِّسالَة. العَقلُ المُنقَسِم، أو الرُّؤيا الرُّوحيَّة المُزدَوِجَة، هُوَ الوصفُ الذي يُطلِقُهُ بُولُس على نفسِهِ بالقَول: "الإنسانُ الشَّقِيّ."

الأمراضُ النفسيَّة الجسديَّة، Psychosomatic هي مرضٌ في الجَسد، أي Soma باليُونانِيَّة، عندما يَكُونُ سَبَبُ المرَضِ كامِناً في العقلِ أو في النَّفس، أي Psyche. أحدُ أسبَاب المرض النفسي الجسدي الرَّئيسة والنَّمُوذَجيَّة، هُوَ الشُّعُورُ بالذَّنب. أحدُ أكثر أسباب الشُّعُور بالذَّنب شُيُوعاً وإنتِشاراً عندَ المُؤمنين، هُوَ التَّحلِّي بمعيارٍ لما نَعرِفُ أنَّهُ طريقَةُ العيش المُستقيم (أي نامُوس الله)، في صراعٍ أو نزاعٍ معَ حياتِنا اليَومِيَّة، عندَما تَكُونُ الطَّرِيقَةُ التي نَعيشُ بها ليسَت على مُستَوى معيار الله للعيشِ المُستقيم.

أحدُ أتقَى الرِّجالِ الذين عاشُوا على الإطلاق، كانَ الرَّجُل الذي وصفَهُ اللهُ القَديرُ بأنَّهُ "رَجُلٌ بِحَسَبِ قلبِي، الذي يعمَلُ مَشيئَتي." (١صَمُوئيل ١٣: ١٤؛ أعمال ١٣: ٢٢). هذا الرَّجل أظهَرَ لنا أكثَرَ من أيِّ إنسانٍ آخر، بإستِثناءِ مُوسى، ماهيَّةَ العِبادَة وكيفيَّتَها. ولكنَّ كَلِمَةَ اللهِ تُخبِرُنا بكامِلِ الحقيقة: أنَّهُ إرتَكبَ خَطيئَةً شَنيعة! فلقدِ إرتَكبَ خَطِيَّةَ الزِّنَى، الخيانَة، القَتل، ولمُدَّةِ سنَةٍ كامِلَة حاوَلَ أن يُستِّرَ على هذه الخطايا الرَّديئة. لا بُدَّ أنَّ تلكَ السَّنَة كانت أكثر سني حياةِ داوُد حُزناً وكآبَةً. تأمَّلُوا بهذه الكلمات التي كتبَها داوُد، والتي تَصِفُ كيفَ أثَّرَ الشُّعُورُ الرهيب بالذَنب الذي إختَبَرَهُ، كيفَ أثَّرَ عليهِ جسديَّاً، عاطفيَّاً، ورُوحيَّاً. وأنا أقتَبِسُ من تصريحٍ مألُوفٍ جدَّاً في الكتابِ المُقدَّس: "طُوبَى لِلذي غُفِرَ إثمُهُ وسُتِرَتْ خَطِيَّتُهُ. طُوبَى لِرَجُلٍ لا يَحسِبُ لهُ الرَّبُّ خَطيَّة، ولا في رُوحِهِ غِشٌّ. لَمَّا سَكَتُّ بَلِيَتْ عِظامِي من زَفيري اليَومَ كُلَّهُ. لأنَّ يَدَكَ ثَقُلَت عليَّ نهاراً ولَيلاً. تحوَّلَت رُطُوبَتي إلى يُبُوسَةِ القَيظ. أعتَرِفُ لكَ بِخَطِيَّتي ولا أكتُمُ إثمِي. قُلتُ أعتَرِفُ للرَّبِّ بِذَنبي وأنتَ رَفعتَ آثامَ خَطِيَّتِي." (مزمُور ٣٢: ١- ٥)

تتوازَى كَلِماتُ داوُد الصَّادِقَة هذه معَ كَلماتِ بُولُس. ولقد أعطَتْنا مِثالاً منَ العهدِ القَديم لنَضَعَهُ إلى جانِبِ إعتِرافِ بُولُس. الإعتِرافاتُ الصَّادِقة التي قدَّمَها هذانِ الرَّجُلانِ التَّقيَّان تُوفِّرُ لنا مِثالاً مَهُوباً. يُسَمِّي بُولُس نفسَهُ بالإنسانِ الشَّقِيّ.

الآن، تصَوَّرُوا دائِرَةً مليئَةً فقط بالعلاماتِ السَّلبيَّة. يُشيرُ هذا إلى حياةِ شَخصٍ لم يحظَى بأيِّ نُورٍ، ولا بِأيِّ تعليمٍ بَتَاتاً عن نامُوسِ أو عن كَلِمَةِ الله. هكذا أشخاص وصفَهُم يسُوعُ بأنَّهُم أولئكَ الذين لا نُورَ لدَيهِم، ولذلكَ لا معرِفَةَ عنِ الخطيَّة (يُوحَنَّا ٩: ٤٠ و٤١؛ ١٥: ٢٢). بالنِّسبَةِ ليسُوع، الخَطيَّةُ هي الرَّفضُ والتَّقصيرُ عنِ العَيشِ بِحَسَبِ النُّور.

أعداءٌ في الإصحاحَاتِ الأُولى من هذه الرِّسالَة تحضُّنا على أن نطرَحَ السُّؤال إن كانَ يُوجَدُ هكذا إنسان (١: ٢٠). ولكن، إن كانَ يُوجَدُ هكذا إنسان، لما كانت ستَكُونُ هُناكَ خطيَّة، ولما كانَ سيكُونُ هُناكَ شعُورٌ بالذَّنبِ، ولما كانَ سيشعُرُ هكذا إنسانٌ بالقَرحَةِ في المِعدَة ولا بأوجاعِ الرَّأسِ والجسد.

بينما تقرأُونَ الإصحاحِ السَّادِس من رِسالَةٍ رُومية، تأمَّلُوا بهذا الإنسان الذي تمتَّعَ بذهنِيَّةٍ بَسيطَةٍ ولكن خاطِئة، كما يُشارُ إليها بدائِرَةٍ ذات علاماتٍ ناقِصَة. هذا الشَّخصُ لن يَكُونَ عَديمَ الأخلاق، لأنَّهُ لا يملِكُ مَعاييرَ للأخلاقِيَّات. اليوم يُسَمِّي البعضُ هذه الحالَة باللا-أخلاقِيَّ، الذي يقصُدُونَ بهِ عدم وُجُود مُطلَقاتٍ أخلاقِيَّة أو معاييرَ مُطلقَة لما هُوَ صوابٌ وخطأ. منَ الواضِحِ أنَّ أُولئكَ الذين يُؤمِنُونَ بنامُوسِ الله، يُؤمِنُونَ أيضاً بالمُطلَقاتِ الأخلاقيَّة، أو بمعيارٍ مُطلَقٍ لما هُوَ صوابٌ وخطأ.

خلالَ كتابَتِهِ للإصحاحِ السَّادِس من هذه الرِّسالَة، التَّشديدُ القَويُّ الذي يَقُومُ بهِ بُولُس، هُوَ أنَّ أُولئكَ الذينَ تبرَّرُوا بالإيمان، ولديهِم وُصُولٌ إلى النِّعمة، ويُؤمنُونَ بكلمَةِ الله، عليهم ألا يُشَارَ إليهِم بتاتاً بهذه الدَّائِرة ذاتِ العلاماتِ السَّلبيَّة فقط. بكلماتٍ أُخرى، الخطيَّة ينبَغي ألا تَسُودَ علينا بتاتاً.

بينما تقرأُونَ هذا الإعتِرافِ الصَّادِق الذي يُشارِكُنا بهِ بُولُس، تأمَّلُوا بتلكَ الدَّائِرَة التي تحتَوي على علاماتٍ سَلبِيَّة وإيجابِيَّة معاً، والتي يفصِلُ بينها خَطٌّ مَرسُومٌ في وسطِ الدَّائِرَة. كانت تُوجَدُ أُغنِيَةٌ شَعبِيَّةٌ عندما كُنتُ لا أزالُ شابّاً مُراهِقاً، التي كانت تَقُولُ: "تَمَسَّكُوا بالواجِباتِ الإيجابِيَّة،

وتخلُّوا عنِ السَّلبِيَّة؛ رَكِّزُوا على الإيجابِيَّات، ولا تتورَّطُوا معَ السَّيد "بين ما بَين!" إنَّ بُولُس الذي نلتَقيهِ في الإصحاحِ السَّابِع من هذه الرِّسالَة، هُوَ السَّيِّد "بين ما بَين" الذي تمَّ وصفُهُ أعلاهُ بتلكَ الأُغنِيَة السَّاخِرَة. الأمرُ البالِغُ الأهمِّيَّة، هُوَ أنَّ السيِّد "بين ما بَين" هذا، تمَّ وصفُهُ بإسهابٍ من قِبَلِ يسُوع، داوُد، إيليَّا، يُوحَنَّا، يعقُوب، وبُولُس في خاتِمَةِ إعترافِهِ بأنَّهُ "الإنسان الشَّقِيّ." (رُومية ٧: ٢٤).

عندما تقرأُونَ الإصحاحَ الثَّامِن من هذه الرِّسالَة، تصَوَّرُوا دائِرَةً تحتَوي على علاماتٍ إيجابيَّة فقط. فإنَّ تلكَ الدَّائِرَة ستُمثِّلُ العقلَ البَسيط، والحياةَ المَليئَة بالنُّور والسَّعادَة كما علَّمَ عنها يسُوع. وسوفَ يكُونُ ذلكَ التطبيقَ والطَّاعَةَ المَطلُوبَينِ من داوُد والرُّسُل والأنبياء. دائِرَةٌ مَليئَةٌ بالعَلاماتِ الإيجابِيَّة، ستُمَثِّلُ أيضاً تطبيقَ المبدَإِ أو النَّامُوس الرُّوحيِّ الثَّالِث كما يُقدِّمُهُ بُولُس، والذي يُعطِي الخاطِئَ المُبَرَّر الدِّيناميكيَّةَ لطاعَةِ نامُوسِ اللهِ وللتَّغلُّبِ على نامُوسِ الخَطيَّةِ والمَوت.

إنَّ مبدَأَ أو نامُوسَ الذِّهنيَّة هُوَ ببساطَةٍ الخَيَارُ الواعِي الذي لدينا لنُطَبِّقَ المبدأَ الرُّوحِيَّ الثَّالِثَ للرَّسُول بُولُس. على خِلافِ عالِمِ النَّفس الذي ليسَ لدَيهِ أيَّةُ دِينامِيكيَّة يُقَدِّمُها لأُولئكَ الذينَ الجِدار الذي يجعَلُهُم مُتَقَلقِلي الرَّأي وأشقِياء، يُقدِّمُ بُولُس نامُوسَ رُوحِ الحَياة في المسيح يسُوع، الذي بإمكانِهِ التَّغلُّب على نامُوسِ الخَطيَّةِ والمَوت.

إقرأُوا هذه الأعداد مُجدَّداً، وبينما تفعَلُونَ هذا، لاحِظُوا أنَّهُ يُشَدِّدُ على الحقيقَةِ المُطلَقَة أنَّهُ بِدُونِ دينامِيكيَّة رُوحِ الله، ليسَ فقط أنَّنا لا نستَطيعُ أن نربَحَ المعرَكَةَ معَ الخطيَّة؛ فإذا لم يَكُن لَدينا الرُّوح القُدُس، فنحنُ حتَّى لا ننتَمي للمسيحِ ولا لِلّه. ولكن إن كُنَّا ننتَمِي للمسيحِ، سيكُونُ لَدينا الرُّوح، وسيَكُونُ لدَينا الوعدُ بأنَّهُ سيُعطِي حياةً لأجسادِنا المائِتَة:

"وأمَّا أنتُم فَلَستُم في الجَسد بَل في الرُّوح، إن كانَ رُوحُ اللهِ ساكِناً فيكُم. ولكن إن كانَ أحَدٌ ليسَ لهُ رُوحُ المسيح فذلكَ ليسَ لهُ. وإن كانَ المسيحُ فيكُم فالجَسَدُ مَيِّتٌ بِسَبَبِ الخَطيَّة، وأمَّا الرُّوحُ فحياةٌ بِسَبَبِ البِرّ. وإن كانَ رُوحُ الذي أقامَ يسُوعَ منَ الأمواتِ ساكِناً فيكُم، فالذي أقامَ المسيحَ منَ الأمواتِ سيُحيِي أجسادَكُم المائِتَة أيضاً بِرُوحِه السَّاكِن فيكُم." (رُومية ٨: ٩- ١١)

إنَّهُ يُوجِزُ ما كان قد كتَبَهُ عن مبادِئِهِ أو نوامِيسِه الرُّوحيَّة الأربَعة بهذه الأعداد: "فإذاً أيُّها الإخوة نحنُ مَديُونُونَ لَيسَ لِلجَسَد لِنَعيشَ حسبَ الجَسَد. لأنَّهُ إن عِشتُم حسبَ الجَسَد فستَمُوتُون. ولكن إن كُنتُم بالرُّوحِ تُميتُونَ أعمالَ الجَسد فستَحيَون. (١٢، ١٣).

التَّطبيقُ الشَّخصِيّ: أينَ أنتَ؟

ما أوضَحتُهُ بإستِعاراتِ هذه الدَّوائِر، هُوَ الرِّسالَةُ الجَوهَريَّة منَ الإصحاحِ السَّادِس، السَّابِع، والأعداد الثلاثَة عشر الأُولى منَ الإصحاحِ الثَّامِن من هذه التُّحفَة اللاهُوتيَّة. في أيٍّ من هاتَينِ الدَّائِرَتَين تِجدُ نفسَكَ؟ هل تَجِدُ نفسَكَ في الدَّائِرَةِ التي تُشيرُ إلى الحقيقَةِ التي يُعَلِّمُ بها بُولُس في الإصحاحِ السَّادِس؟ وهل أنتَ خالٍ من أيَّةِ علاماتٍ إيجابيَّة في ذهنِيَّتِكَ؟ إن كانَ هذا هُوَ المكانُ الذي تَقِفُ فيهِ، تحتاجُ أن تسمَعَ وتفهَمَ وتُؤمِنَ بالإنجيل الذي أعلنَهُ بُولُس صراحَةً في رُوما، والذي يُقَدِّمُهُ بجمالٍ وتنظِيمٍ وشُمُولِيَّة في هذه التُّحفَة اللاهُوتيَّة.

هل تَجِدُ نفسَكَ في تلكَ الدَّائِرَة التي تحتَوي على علاماتٍ إيجابيَّة وسَلبِيَّة معاً؟ عندَها عليكَ أن تتَحرَّكَ إلى الدَّائِرَة التي تحتَوي فقط على علاماتٍ إيجابِيَّة. بكلماتٍ أُخرى، إن كُنتَ لا تُريدُ أن تَكُونَ ذلكَ الإنسان الشَّقِيّ، عليكَ أن تَجِدَ نفسَكَ والحلَّ لِشقاوَتِكَ، بالإنتِقالِ إختِبارِيَّاً من الإصحاحِ السَّابِع إلى الإصحاحِ الثَّامِن من هذه الرِّسالَة.

الفَصلُ الرَّابِع
"أعظَم من مُنتَصِرين"
(رُومية ٨: ١٤- ٣٩)

بينما تقرأُونَ بَقِيَّةَ هذا الإصحاحِ الثَّامِن، لاحِظُوا إعلانَ بُولُس أنَّ اللهَ ليسَ في كُلِّ إنسان. بَلِ اللهُ فقط في أُولئكَ الذينَ بالإيمانِ تَبَرَّرُوا، وبالإيمانِ وجَدُوا وُصُولاً إلى نعمَةِ الله. اللهُ ليسَ في كُلِّ إنسان. بل اللهُ فقط في أُولئكَ الذين يُطيعُونَهُ. وهُوَ ليسَ لِكُلِّ واحِد. بل هُوَ فقط لأُولئِكَ الذينَ يُحِبُّونَهُ والذين هُم مَدعُوُّونَ حَسَبَ قَصدِهِ. ولكنَّ بُولُس سيستَنتِجُ أنَّهُ إن كانَ اللهُ فينا، معنا، ولأجلِنا، فلا قُوَّةَ على الأرضِ، ولا تحتَ الأرض، ولا فوقَ

الأرض، لا ماضِياً ولا حاضِراً ولا مُستَقبَلاً، ستَقدِرُ أن تَفصِلَنا عن محبَّةِ الله – وعمَّا يريدُ أن يعمَلَهُ فينا، معنا، ومن خلالِنا.

الأَعدادُ الخَمسَةُ والعِشرُون الأخيرة منَ الإصحاحِ الثَّامِن من رِسالَةِ رُومية تُعتَبَرُ واحِداً من أعظَمِ وأسمَى مقاطِعِ الكتابِ المُقدَّس بكامِلِه. هذا المقطَعُ من كَلِمَةِ اللهِ، بالمُقارَنَةِ معَ باقي الأسفار المُقدَّس، هو مثلُ أعلى قِمَّةِ جَبَلٍ في العالَم بالمُقارَنَةِ معَ باقي جبالِ العالم.

ما أسمَيتُهُ "المبادِئ الرُّوحِيَّة الأربَعة،" تمَّ تقديمُها الآنَ من خلالِ هذا الرَّسُول. ولكنَّ المَوضُوعَ الذي بدأَهُ في الإصحاحِ الخامِس، بِخُصوصِ كيفيَّةِ عيشِ الخُطاة الذي أُعلِنُوا أبراراً، بأنَّهُم أصبَحُوا يعيشُونَ بإستِقامَة، سوفَ يستَمِرُّ في هذه الأعدادِ الأخيرة من الإصحاحِ الثَّامِن، إلى أن يُعلِنَ لنا أنَّهُ بإمكانِنا أن نَكُونَ أعظَمَ من مُنتَصِرين بالمسيح. الحقيقَةُ التي سيُعلِنُها بُولُس هُنا، والتي تجعَلُ من هذا المقطَع مقطعاً مشهُوراً غيرَ إعتِيادِيٍّ في كلمَةِ الله، هي أنَّنا جميعاً نستَطيعُ أن نَكُونَ أعظَم من مُنتَصِرين، لأنَّ اللهَ هُوَ المصدَر، وهُوَ القُوَّة الكامِنَة والقَصدُ المُرتَجَى من إنتِصارَاتِنا وفُتُوحاتِنا الرُّوحيَّة.

تَذَكَّرُوا أنَّهُ بعدَ أن كتبَ بُولُس في العددِ الثَّانِي منَ الإصحاحِ الخامِس أنَّهُ قد صارَ لنا وُصُولٌ بالإيمانِ إلى النِّعمة، قدَّمَ بُولُس إستِعارَةَ الفاتِحينَ الأربَعة، التي أظهَرَت لنا كيفَ نملِكُ في الحياةِ من خلالِ النِّعمَةِ بالمسيح (٥: ١٧). ولقد إستَمَرَّ مَوضُوعُ الإنتِصارِ على الخَطيَّة وعواقِبِها عبرَ الإصحاحات السَّادِس، السَّابِع، والأعداد الثَّلاثَة عشر الأُولى من الإصحاحِ الثَّامِن. ولقد أعلَنَ بُولُس بجرأَةٍ وفصاحَة وعُمقِ الرِّسالَةَ نَفسَها التي أعلَنَها من خلالِ إستِعارَتِهِ عنِ الفاتِحينَ الأربَعة، بتقديمِ إستِعارَتِهِ المجازِيَّة عنِ المبادِئ الرُّوحيَّة الأربَعة.

ولكنَّ مَوضُوعاً عظيماً آخر يُقَدَّمُ لنا في أوجِ قِمَّةِ هذا العَرضِ المُوحَى لإنتِصارِ المُؤمن الرُّوحِيّ. هذا المَوضُوع هُوَ التَّدَخُّل الإلهيّ لإلهٍ منتَصِرٍ سَيِّد، الذي سيربَحُ المعرَكَةَ فينا، من خلالِنا، معَنا ولأجلِنا. وقَبلَ أن يُقَدِّمَ ذلكَ المَوضُوع الرَّائِع، يتحدَّى الهُوِيَّةَ الرُّوحِيَّة للذينَ كتبَ لهُم: "وأمَّا أنتُم فَلَستُم في الجَسَد بَلْ في الرُّوح، إن كانَ رُوحُ اللهِ ساكِناً فيكُم. ولكن إن كانَ أحَدٌ لَيسَ لهُ رُوحُ المَسيح، فذلكَ ليسَ لهُ. وإن كانَ المسيحُ فيكُم فالجَسَدُ

مَيتٌ بِسَبَبِ الخطيَّة وأمَّا الرُّوحُ فحياةٌ بِسَبَبِ البِرّ. وإن كانَ رُوحُ الذي أقامَ يسُوعَ منَ الأمواتِ ساكِناً فيكُم، فالذي أقمَ المسيحَ منَ الأمواتِ سيُحيِي أجسادَكُم المائِتَة أيضاً بِرُوحِهِ السَّاكِن فيكُم." (رُومية ٨: ٩- ١١)

الأسئِلة التي يطرَحُها بُولُس هُنا حولَ الهُويَّة الرُّوحيَّة، هي أسئِلَةٌ كالتَّالِيَة: "هل أنتُم في الجَسَد أم في الرُّوح؟" فبالنِّسبَةِ لبُولُس هُناكَ إمكانِيَّتانِ فقَط. فإمَّا أن تَكُونَ شَخصاً رُوحيَّاً، بسببِ كونِ الرُّوحِ القُدُس يحيا فيكَ، وإمَّا أن تَكُونَ شَخصاً طَبيعيَّاً أو غَيرَ رُوحِيّ، لأنَّ الرُّوحَ القُدُس لا يحيا فيكَ. وإن كانَ الرُّوحُ لا يَحيا فيكَ، فأنتَ غير رُوحِيّ، وكُلُّ مايكتُبُهُ بُولُس لا ينطَبِقُ عليك. ولكن إن كانَ رُوحُ اللهِ يحيا فيكَ، فالذي أقامَ يسُوعَ منَ المَوتِ، سيُعطي الحَياةَ لجَسَدِكَ المائِت. هذا لا يعني في الحياةِ العتيدَة، لأنَّهُ أشارَ إلى جسدِنا كجسدٍ مائِتٍ أو قابِلٍ للمَوت. يعني مفهُومُ قابِلِيَّةِ المَوت أنَّنا مَوجُودُونَ في هذا العالم لِفَترَةٍ مُحَدَّدَةٍ منَ الزَّمَن. فعندما نذهَبُ لحُضُورِ جنازَةٍ، "نتواصلُ معَ طبيعَتنا المائِتَة" لأنَّنا نُدرِكُ أنَّنا سنَمُوتُ يوماً ما.

يتبَعُ هذا السُّؤالَ عنِ الهُوِيَّةِ الرُّوحيَّة سُؤالٌ آخر عندما يَتساءَلُ بولُس، "هل أنتَ إبنٌ لله؟" فهُوَ يدمُجُ هاتَينِ القَضِيَّتَين عنِ الهُوِيَّةِ الرُّوحِيَّة وكَونِ الإنسانِ إبناً، عندما يكتُبُ قائِلاً، "لأنَّ كُلَّ الذين ينقادُونَ بِرُوحِ اللهِ فأُولئِكَ هُم أبناءُ الله. إذ لم تأخُذُوا رُوحَ العُبُودِيَّةِ أيضاً لِلخَوف، بل أخَذتُم رُوحَ التَّبَنِّي الذي بهِ نصرُخُ يا أبا الآب. الرُّوحُ نفسُهُ يشهَدُ لأَرواحِنا أنَّنا أولادُ الله. فإنْ كُنَّا أولاداً فإنَّنا وَرَثَةٌ أيضاً، ورَثَةُ اللهِ وَوَارِثُونَ معَ المسيح. إن كُنَّا نتألَّمُ معَهُ، لكَي نتمجَّدَ أيضاً معَهُ."

هُناكَ تعليمٌ ذائِعُ الصِّيت بأنَّ اللهَ هُوَ أبُ جميعِ الكائِناتِ البَشَرِيَّة، ولهذا فجميعُنا ككائِناتٍ بَشَرِيَّة، إخوَةٌ وأخوات. يُقدِّمُ إنجيلُ يُوحَنَّا التَّصريحَ الواضِحَ أنَّ أُولئكَ الذينَ يُؤمِنُونَ بالمسيحِ ويقبَلُونَهُ، أُعطُوا سُلطاناً أن يَكُونُوا أولادَ الله. كَلِمَة سُطان أو قُوَّة في هذه الأعداد، تأتي باليُونانِيَّة بمعنَى سُلطة.

يُعَلِّمُ يُوحَنَّا أنَّهُ عندما جاءَ يسُوعُ إلى هذا العالم، عندما تجاوَبَ النَّاسُ معَهُ بطَرِيقَةٍ صَحيحة، أو بإيمان، إختَبَرُوا الولادَةَ الجديدة وأخذُوا سُلطاناً بأن يعتَبِرُوا ويُسَمُّوا أنفُسَهُم أبناءَ الله (يُوحَنَّا ١: ١٢، ١٣). فإن كانَ كُلُّ

أبناءِ الجنسِ البَشَرِي هُم أبناء لله، فإنَّ هذا كانَ سيجعلُ من حياةِ ومَوتِ يسُوع المسيح غيرَ ضَرُوريٍّ.

عندَما يستَخدِمُ الوَحيُ صِيغَةَ المُذَكَّرَ "أبناء"، هذا لا يعني الذُّكُور بإستِثناءِ الإناث. فالصَّيغَةُ تعني كُلَّ النَّاس، بِغَضِّ النَّظَرِ عن جِنسِهِم. هذا ما قصَدَهُ بُولُس عندما كتبَ أنَّهُ في المسيح لا يُوجَدُ ذَكَرٌ ولا أُنثَى (غلاطية ٣: ٢٨). فنحنُ جميعاً واحدٌ في المسيح.

يُظهِرُ بُولُس دَرَجاتٍ منَ العلاقَة، عندما يكتُبُ للفِيلِبِّيِّين عن رَجُلٍ عَجُوزٍ أتاهُ بتقدماتِ محبَّةٍ من كَنيستِهِم، وجاءَ ليَزُورَ بُولُس في السِّجن (فيلبِّي ٢: ٢٥- ٣٠). وهُوَ يَصِفُ هذا الرَّجُلَ الشَّيخ وكأنَّهُ أخوهُ، العامل معَهُ، رَفيقهُ في الجُندِيَّة، رَسُولُ كَنيسةِ فيلبِّي الذي خدَمَهُ ووقفَ لجانِبِهِ ساعَةَ الحاجَة. ولقد قصدَ بُولُس أنَّ الأخَ كانَ ذلكَ المُؤمن الذي أُعطِيَ سُلطاناً أن يُدعَى "إبناً لله." وقصدَ بِرَفِيقِ الجُندِيَّة أنَّهُ خاطَرَ بِحياتِهِ معَ بُولُس لأجلِ المسيحِ والإنجيل. الألقابُ الأُخرى لَدَيها معانٍ واضِحَة.

يذكُرُ بُولُس بِوُضُوحٍ وحزمٍ أنَّ الذين ينتَمُونَ للمسيح هُم وحدَهُم أُولئكَ الذين يحيا فيهم رُوحُ المسيح. ثُمَّ يَربِطُ تلكَ الهُوِيَّة الرُّوحِيَّة الشَّخصِيَّة، وكَونِ الإنسان "إبناً لله"، عندما يكتُبُ قائِلاً:"لأنَّ الذين ينقادُونَ لِرُوحِ المسيح، أُولئِكَ هُم أبناءُ الله." نحنُ نُصبِحُ خاصَّةَ المسيح عندَما يسكُنُ الرُّوحُ القُدُسُ فينا، وعندما نُقادُ بالرُّوحِ القُدُس نُصبِحُ أبناءَ الله، بحَسَبِ بُولُس.

يتبَعُ هذا تعليمٌ مُدهِشٌ، يُوازِي حقيقَةً مُشابِهةً كتبَها بُولُس لِلغَلاطِيِّين. فلقد كتبَ في هاتَينِ الرِّسالَتَين المُوحَى بهما، ما معناهُ أنَّهُ عندما يشهَدُ الرُّوحُ القُدُسُ في أرواحِنا أنَّنا أولاد الله، عندَها نصرُخُ "يا أبَّا الآب." (غلاطية ٤: ٦). إنَّ كَلِمَة "أبَّا" هي كلمة "والِد أو أب" باللُّغَةِ العَرَبِيَّة. وهذا يُشيرُ بِوُضُوحٍ إلى إختِبارٍ شَخصِيٍّ رُوحِيٍّ حَميم.

سألتُ مرَّةً مُرشِداً كانَ يُدَرِّبُني عندما كُنتُ قَسِّيساً يافِعاً، "كيفَ تُقدِّمُ يقينَ الخلاص لمُؤمِنٍ جديدٍ يُعوِزُهُ هذا التَّأكيد؟" كانَ معي دفتَرٌ وقَلمٌ، وكُنتُ مُستَعِدَّاً لأبدَأَ بالكتابَة. فكانَ جوابُهُ: "لا يُمكِنُكَ أن تُعطي تأكيدَ الخلاصِ لأحَد. فهذه خِدمَةُ الرُّوحِ القُدُس." ولقد علَّقَ قائِلاً أنَّهُ بإمكانِنا أن نُشارِكَ بأعدادٍ كِتابِيَّة، وأن نبحَثَ عن بَراهِينَ مُؤَكِّدَة للإيمانِ والخَلاص. بإمكانِنا

أيضاً أن نطرَحَ أسئِلَةً وأن نُقَدِّمَ أنواعَ مُتَعَدِّدَة منَ الدَّعمِ والتَّشجيع والتأكيد، عندما تتوفَّرُ هذه الدَّلائِلُ والبَراهين. ولكن، بالتَّحليلِ النِّهائِيّ، وحدَهُ الرُّوحُ القُدُسُ بإمكانِه أن يشهَدَ لأرواحِهِم وأن يمنَحَهُم التأكيد بأنَّهُم أبناء الله.

لِكَي نُتابِعَ الفِكرَةَ التَّالِيَة لبُولُس، منَ الضَّرُوريّ أن نفهَمَ شَيئاً حولَ الحضارَةِ الرُّومانِيَّة في تلكَ الأيَّام. كانَتِ العادَةُ الرُّومانِيَّة بالنِّسبَةِ لأبٍ أن يعتَبِرَ أبناءَهُ أطفالاً، إلى أن يَبلُغُوا الرَّابِعَةَ عشرَ من عُمرِهِم. وعندما كانُوا يَبلُغُونَ ذلكَ السِّنّ، كانَ يَقُومُ بتبنِّيهم في المحكَمة كَأَبناء شَرعِيِّين، وكانَ يُعلِنُهُم الوَرَثَة الشَّرعِيِّين لكُلِّ ما يُريدُهم أن يَرِثُوهُ منهُ.

هذه هي الإستِعارَةُ المَجازِيَّة التي يستَخدِمُها بُولُس هُنا، عندما يكتُبُ أنَّنا أولاد، لأنَّنا نُولَدُ أبناءً في عائِلَةِ اللهِ من خلالِ الولادَةِ الرُّوحيَّة. ولكن، من خلالِ وُصُولِنا إلى نعمَةِ اللهِ، نُصبِحُ أكثَرَ من ذلكَ: "الرُّوحُ نفسُهُ أيضاً يَشهَدُ لأَرواحِنا أنَّنا أولادُ الله. فإنْ كُنَّا أولاداً فإنَّنا وَرَثَةٌ أيضاً، ورَثَةُ اللهِ ووارِثُونَ معَ المسيح." (٨: ١٦، ١٧) فنحنُ نَرِثُ معَ يسُوع المسيح، الذي هُوَ إبنُ اللهِ الحبيب، كُلَّ ما يَرِثُهُ من أبيهِ. هذا لديهِ ناحِيَة إيجابِيَّة كبيرَة جدَّاً، ولكن هُناكَ ثَمَنٌ يتوجَّبُ دَفعُهُ. تذَكَّرُوا أنَّنا نتَّحِدُ معَ المسيح بمَوتِهِ وقيامَتِه.

هُنا يبدَأُ ترنيمَتَهُ المُوحاة عنِ التَّسبيحِ والفتحِ والإنتِصار، عندما يربُطُ الإتِّحادَ معَ المسيح بالمَوتِ والقِيامَة، الذي علَّمَ عنهُ في الإصحاحِ السَّادِس، معَ آلامِنا من أجلِ المسيحِ في هذا العالم. ويُعلِنُ أنَّنا إذا تألَّمنا معَ المسيح، فسوفَ نتمجَّدُ أيضاً معَهُ في الحياةِ الآتِيَة: "إن كُنَّا نتألَّمُ معَهُ، لكَي نتمجَّدَ أيضاً معَهُ. فإنِّي أحسِبُ أنَّ آلامَ الزَّمانِ الحاضِر لا تُقاسُ بالمَجدِ العَتيدِ أن يُستَعلَنَ فينا. لأنَّ إنتِظارَ الخَليقَة يتوقَّعُ إستِعلانَ أبناءِ الله." (١٧- ١٩)

يقُومُ بُولُس الآن بعمَلِ شَيئَين في تقدِيمِهِ العَمِيق للإنتِصارِ الرُّوحِيّ على الخَطيَّة من قِبَلِ خاطِئٍ مُبَرَّر. أوَّلاً، يربطُ بينَ الإنتِصار والنُّمُوّ الرُّوحِي وبينَ الألم. ثُمَّ يكتُبُ عن أكثَرِ تعاليمِهِ عُمقاً وجلالاً وإلهاماً، عندما ينقُلُ تعليمَهُ عنِ إنتِصاراتِ المُؤمن رُوحيَّاً إلى الحالَةِ الأبديَّة. قبلَ أن أُرَكِّزَ على ما كَتَبَهُ بُولُس عن النُّمُوّ الرُّوحِيّ النِّهائِيّ في المجالِ العتيد، منَ الأهمِّيَّةِ بمكانٍ أن تتأمَّلُوا معي بما كتبَهُ عن الطريقة التي يرتَبِطُ بها الألَمُ بنُمُوِّنا الرُّوحِي وبفتُوحاتِنا أو إنتِصاراتِنا في هذهِ الحَياة.

كَثيرُونَ يُعَلِّمُونَ خطأً أنَّ اللهَ لا يُريدُ أبداً أن يتألَّمَ شَعبُهُ، ولا أن يَكُونُوا مرضَى أو فُقراء، ولا حتَّى أن يُعانُوا أيَّةَ صُعُوبَةٍ في حياتِهِم. يُمكِننا القَول بِبَساطَةٍ أنْ ليسَ هذا ما يُعَلِّمُهُ الكتابُ المُقدَّسُ، ويُريدُنا بُولُس أن نفهَمَ هذه الحقيقَة. هل آمنتَ منذُ وقتٍ طَويلٍ يسمَحُ لكَ بأن تُدرِكَ أنَّ النُّمُوَّ الرُّوحِيّ والإنتِصار على الخَطيَّة يُمكِنُ أن يرتَبِطا بالألَم؟ بِحَسَبِ يسُوع، عندما نَكُونُ كغُصنٍ مُثمِرٍ بسببِ كَونِنا ثابِتينَ فيهِ كالكَرمَة، يُشَذِّبُنا الآبُ، أو يقطَعُ أجزاءً كبيرَةً من غُصنِنا، لكَي نأتِيَ بِثمَرٍ أكثَر (يُوحَنَّا ١٥: ٢). في هذا الإطار، مُعظَمُ ألَمِنا يُمكِنُ النَّظَرُ إليهِ كتَشذيبٍ بدَلَ أن يكُونَ تراجُعاً أو عائِقاً في حياتِنا.

الرَّسُولُ بُولُس هُوَ مِثالٌ عَظيمٌ عن هذا النَّوع منَ الألَم. لقد منحَتْهُ الفتراتُ الطَّويلَة والمُتَعَدِّدَة التي قَضاها في السِّجن الوقتَ الكافي ليَكتُبَ خمسَةً من أكثَرِ رسائِلِهِ أهَمِّيَّةً. وكانَ بإمكانِهِ أن يَكُونَ مُثمِراً خلالَ هذه الأشهُرِ الطَّويلَة، واعِظاً ومُعَلِّماً؛ رُغمَ ذلكَ رَغِبَ اللهُ بالمَزيدِ منَ الثِّمارِ، وقضى بُولُس ذلكَ الوقت في السِّجن. وبعدَ مُرُورِ ألفَي عام، لا تزالُ رسائِلُهُ المُوحاة التي كتبَها في السِّجن، تُؤتي الخلاصَ والبَرَكَة لملايين النَّاس.

تأمَّلُوا بِهَذِا المَقطَع الذي كَتَبَهُ بُولُس، والذي يمنَحُنا بَصيرَةً لنفهمَ إختبارَهُ الشَّخصِيّ في الألَم. لقدِ إقتَبَستُ هذا المقطَع من ترجَمَةٍ تفسيريَّةٍ تُساعِدُنا على فهمِ الحقيقَةِ الصَّعبَة عن آلامِ بُولس الشَّخصيَّة:

"لقد عمِلتُ بكَدٍّ، ودخَلتُ السِّجنَ أكثَرَ من أيِّ شَخصٍ أعرِفُهُ. وجُلِدتُ مرَّاتٍ لا عَدَّ لها، وواجَهتُ المَوتَ مراراً وتكراراً. خمسَ مرَّاتٍ جَلدَني اليَهُودُ أربَعينَ جَلدَةً إلا واحِدَة. ثلاثَ مرَّاتٍ ضُرِبتُ بالعِصِيّ. (هذا النَّوع منَ الألَم كانَ عادَةً رُومانِيَّة، التي كانت تُشبِهُ مُمارَسَةً تُعرَفُ اليَوم في أماكِن مثل سنغافُورَة بالتَّعليب. لقد كانت هذه العِصِيّ أسوأَ من الجَلد، لأنَّها كانت تُمَزِّقُ خلايا العَضَلاتِ وكانَ بإمكانِها أن تكسِرَ العِظام.) وذاتَ مَرَّة، رُجِمتُ من قِبَلِ جُمهُورٍ هائِج، وتُرِكتُ مَيتاً (أعمال ١٤). ثلاث مرَّات غَرِقَت بي السَّفينة؛ مرَّةً كُنتُ في عُمقِ البَحر طِوالَ الليلِ وطوالَ النَّهارِ كذلكَ. (أعمال ٢٧، ٢٨). لقد عِشتُ في تَعَبٍ وألَمٍ ولَيالٍ بلا نَوم. غالِباً ما

كُنتُ أجُوعُ وأعطَشُ وأجُولُ بِدُونِ طَعامٍ؛ لطالَما إرتَجَفتُ منَ البَردِ، بِدُونِ ما يكفي منَ الثِّيابِ لأدفَأَ." ٢كُورنثُوس ١١: ٢٣- ٢٧)

هل ترَى لماذا يَربِطُ بُولُس النُّمُوّ الرُّوحِيّ والإنتِصار بالألَمِ؟ بما أنَّ الألم هُوَ واحِدٌ من عدَّةِ أدواتٍ يستَخدِمُها اللهُ خلالَ جَعلِنا خلائِقَهُ الجديدَة، هل إستَخدَمَ اللهُ أو هل تسمَحُ لهُ بأن يستخدِمَ الألَمَ الآنَ لكَي يجعَلَكَ تنمُو رُوحِيَّاً؟ وهل بإمكانِكَ أن تُدَوِّنَ إختِباراتِكَ لهذا المبدَأ في يوميَّاتكَ الرُّوحيَّة عنِ الإيمان؟ إيَّاكَ أن تُضَيِّعَ آلامَكَ سُدَىً.

كتبَ بُولُس في إحدَى رسائِلِهِ الأُخرى أنَّنا جَميعاً عمَلُ الله. عندما كانَ يَقُومُ بَنَّاءٌ أعرِفُهُ بإنجازِ بناءِ منزِل، كانَ يأخُذُ أُولئكَ الذين يبحَثُونَ عن بناءٍ ليُرِيَهُم المنزِلَ الذي أنجَزَهُ. وكانَ يَقُولُ لأُولئكَ الذين يبحَثُونَ عن بنَّاءٍ لمنازِلِهِ، "بِنِعمَةِ الله، هذا هُوَ عمَلِي." بِحَسَبِ بُولُس، اللهُ يُريدُ أن يُشِيرَ إلى كُلِّ واحِدٍ منَّا ويَقُولُ، "هذا هُوَ عمَلِي!" (أفَسُس ٢: ١٠).

بعدَ أن عَقدَ قَسِّيسٌ عقدَ الزَّواجِ بينَ إثنَينِ من أعضاءِ كنيستِهِ، فذهبا في شَهرِ العَسَل، ذهبَ القَسِّيسُ ووضَعَ على بابِ منزِلِهما لافتَةً تَقُولُ، "إنتِباه: اللهُ يَقومُ بأشغال!" لقد أرادَ أن يُذَكِّرَ هذين الزَّوجَين الجَديدَين أنَّهُما يحتاجانِ أن يكُونا طَويلا الأناةِ معَ بَعضِهِما البَعض، وأن يُدرِكا أنَّ اللهَ كانَ يقُومُ بِعَمَلِهِ في حياتِهِما. هذه اللافِتَة ينبَغي أن تُوضَعَ فوقَ حياةِ كُلِّ مُؤمنٍ تبرَّرَ بالإيمان.

ولا يَصِحُّ هذا فقط في هذه الحياة، بل بمعنىً ما لن ينتَهِيَ عملُ اللهِ ولن يكمُلَ إلى أن نُصبِحَ كامِلِينَ في الأبديَّة من خلالِ مَوتِنا وقيامَتِنا حَرفِيَّاً. (فيلبِّي ١: ٦).

سَمِعتُ مرَّةً عن خادِمِ كنيسَةٍ في مدينَةِ نيُويُورك، كانَ قد أُصيبَ بالإكتِئاب. ولقد كانَ مُكتَئِباً لدَرَجَةِ أنَّهُ لم يَعُدْ قادِراً على كِتابَةِ عِظَتِهِ. فقرَّرَ أن يذهَبَ ليَتَمشَّى. وبينما كانَ يتمشَّى حولَ مدينَةِ نيُويُورك، مُكتَئِباً لِدَرَجَةِ أنَّهُ كانَ في حالَةٍ يكادُ يُغشَى عليهِ، مرَّ بجانِبِ ورشَةِ بناء. وكانَت ورشَةُ البِناءِ هذه تختَصُّ بِبناءِ كاتِدرائِيَّةٍ ضخمة وسطَ مدينَةِ نيُويُورك. كانت تجري تصليحاتٌ لتجديدِ بناءِ هذه الكاتِدرائِيَّة الضَّخمة، للمُحافَظَةِ على جمالِها وإستمرارِيَّتِها.

فوَقَفَ الرَّاعِي المُكتَئِب هُناكَ في حالَتِهِ المُزرِيَة، وأخذَ يتفرَّسُ بالعُمَّالِ وهُوَ تائِهَ التَّفكير. مرَّتْ بِضعُ دقائِق قَبلَ أن يُدرِكَ أنَّ كانَ يتفرَّجُ على عمَلِ نحتٍ بالحجارَةِ كانَ يجرِي على حجَرٍ كبيرٍ جدَّاً، وكان العُمَّالُ ينحتُونَ منهُ صَليباً كبيراً. بعدَ أن مرَّ بَعضُ الوقت، إنتَبَهَ نحَّاتُ الحَجَرِ لكَونِ راعي الكنيسة يَقفُ جانِباً ليَتَفَرَّسَ بهِ. وعندما إلتَقَت عيناهُما، سألَهُ راعي الكنيسَة، "ماذا تفعَلُ؟" فأشارَ نحَّاتُ الحَجَرِ إلى فتحَةٍ في بُرجِ الكاتِدرائِيَّة، التي كانت تقَعُ فوقَهُم مُبَاشَرَةً. وكانت الفَتحَةُ أيضاً بِشَكلِ صَليب. فقالَ النَّحَّاتُ لراعي الكنيسة، "هل تَرى تلكَ الفَتحَةَ هناك؟" ثُمَّ بينما كانَ النَّحَّاتُ المَوهُوبُ يُشيرُ إلى الصَّليبِ الصَّخرِيِّ الضَّخم الذي كانَ ينحتُهُ على الأرض، قالَ لِراعي الكنيسة، "أنا أنحَتُهُ وأُشَكِّلُهُ هُنا في الأسفَل، لكي يُناسِبَ حجمُهُ عندما سيُوضَعُ في الأعلَى."

وبينما كانَ راعي الكنيسة يمشِي مُبتَعِداً عن ورشَةِ البناءِ هذه، قالَ مُصَلِّياً، "شُكراً يا رَبّ، لأنَّ هذا ما إحتجتُ أن أسمَعَهُ بالتَّمام!" لقد أدرَكَ أنَّ الكثيرَ من المشاكِل والضُّغُوطات، التي كانت قد أدَّتْ بهِ إلى هذا الإكتِئاب، كانت الطريقة التي بها يُشَكِّلُ اللهُ حياتَهُ هُنا على الأرضِ في الأسفَل، لكَي يُصبِحَ مُناسِباً ومُلائِماً للإستخدامِ في الأعلَى.

بينما يربِطُ بُولُس بينَ النُّمُوِّ الرُّوحِيِّ والإنتِصار على الخَطيّة في حياةِ المُؤمن، يُشيرُ إلى أنَّ اللهَ مُلتَزِمٌ ومُصِرٌّ على تَشكِيلِنا كأبناء وبناتٍ لهُ، ليجعَلَ منَّا رُسُلاً لهُ في هذا العالم. وهُوَ يُشَكِّلُنا ويُغَيِّرُنا للحالَةِ الأبديَّة، عندما سنَختَبِرُ فداءَنا وإنتِصارَنا الكامِل على الخَطيَّة. تأمَّلُوا بهذا التَّفسير لهذينِ العَدَدَينِ اللذَينِ يُشيرُ بُولُس فيهما إلى نُمُوِّنا الرُّوحِيّ في الحاضِرِ والمُستَقبَل: "أعتَقِدُ أنَّكُم مَهمَا عانَيتُم منهُ في الزَّمانِ الحاضِر، هُوَ قَليلٌ جدَّاً بالمُقارَنَةِ معَ المُستَقبَلِ المُشرِق الذي أعدَّهُ اللهُ لنا. فالخَليقَةُ بأسرِها تتشوَّقُ لتَرى المَنظَرَ الرَّائِع عندما يَصلُ أبناءُ اللهِ إلى حالَتِهِم الأبديَّة." (رُومية ٨: ١٨ و١٩).

الحياةُ في مجالَين:

هل سبقَ ولاحَظتُم يَعسُوباً أو فراشَةً خَيَّاطَةً وهي تطيرُ، كيفَ تَستَخدِمُ أجنِحَتَها المُزدَوِجَة لتنتَقِلَ من زهرَةٍ إلى أُخرى؟ أحياناً تُحَلِّقُ مثلَ

طائِرَة الهليكُوبتر، ثابِتَةً مُعَلَّقَةً في الفَضاء. وتستطيعُ هذه أو الفَراشَة الخَيَّاطَةُ أن تُحَلِّقَ بهذا الشَّكلِ طوالَ النَّهار. إنَّ هذه المَخلُوقات المُدهِشَة هي مُعجِزَةٌ بِحَدِّ ذاتِها في الطَّيرانِ النَّفَّاث، معَ أجنِحَتِها المُزدَوِجَة التي تَسمَحُ لها بالطَّيرانِ بِدُونِ توقُّف.

تقضِي الفَراشَةُ الخَيَّاطَةُ أوَّلَ أربَع سنواتٍ من وُجُودِها في قَعرِ مُستَنقَعٍ منَ المياه. فإذا قُمتُم كما يفعَلُ عُلماءُ الطَّبيعة، بإقتِطاعِ صُورَةٍ مَقطعِيَّة عن حياةِ اليَعسُوب تحتَ المياه في أُولى سني حياتِها، سوفَ تكتَشِفُونَ أنَّ هذه الحشَرة المائِيَّة مُزَوَّدَةٌ بجِهازَي تنفُّس. فاليَعسُوبُ الذي يعيشُ تحتَ الماء لديهِ نظامٌ تنفُّسِيٌّ يسمَحُ لهُ بتنشُّقِ الهواءِ تحتَ الماء من خلالِ جسدِهِ الطَّويل الرَّفيع، وبإمكانِهِ إستخراجَ الأُوكسجين منَ الماء، تماماً كما تفعَلُ باقي الحيواناتُ المائِيَّة. وسوفَ تكتَشفُونَ أيضاً أنَّ هذا المَخلُوق المُدهِش لديهِ جهازٌ تنَفُّسِيٌّ آخر، سوفَ يُمَكِّنُه ذاتَ يَومٍ من تنفُّسِ الهواءِ مُباشَرَةً عندما يدخُلُ المجالَ الآخرَ من حياتِهِ.

فعندما تكتَمِلُ مرحَلَةُ الحياةِ المائِيَّة لليُعسُوب، يرتَفِعُ إلى سطحِ الماء، ويزحَفُ إلى اليابِسَة، حيثُ يُجفِّفُ أجنِحَتَهُ تحتَ الشَّمس، ويفرُدُ هاتَينِ المَجمُوعَتَين منَ الأجنِحَة الغريبة المُدهِشَة، ويبدَأُ بعَيشِ النِّصفِ الثَّاني المجيد من حياتِهِ. لقد صمَّمَ اللهُ هذا اليَعسُوب أو الفراشة الخَيَّاطة لتعيشَ حياتَها في بُعدَين أو مجالَين أو عالَمَين.

لدينا هذا القاسَمُ المُشتَرَك معَ اليَعسُوب. فبِحَسَبِ بولُس، نحنُ أيضاً صُمِّمنا من قِبَلِ اللهِ لنعيشَ في عالَمين أو مجالَين. يُعطينا اللهُ جسداً أرضِيَّاً لنعيشَ حياتَنا هُنا على الأرض، وسيُعطينا اللهُ جسداً سماوِيَّاً سوفَ يُؤَهِّلُنا لنَعيشَ إلى الأبد في المجالِ الأبديّ من وُجُودِنا الثَّانِي الذي خطَّطَ لهُ اللهُ بِعنايَتِهِ الإلهيَّة.

وإذا تكلَّمنا مجازِيَّاً، إذا كُنَّا سنأخُذُ "صُورَةً مَقطَعِيَّةً" لمُؤمِنٍ مُتَجَدِّد، سوفَ نكتَشِفُ أنَّ المُؤمِنَ المَولُودَ من جديد، مثلَ اليَعسُوب، مُزَوَّدٌ بجهازَينِ للحياة. فكُلُّ تلميذٍ حقيقيٍّ ليسُوع المسيح مُجَهَّزٌ بجَسَدٍ أرضِيّ، أو بجهازِ حياةٍ يسمَحُ للمُؤمِن بأن يعيشَ المجالَ الأوَّلَ من حياتِهِ. وسوفَ نكتَشِفُ أيضاً أنَّ كُلَّ مُؤمِنٍ حقيقيٍّ مُزَوَّدٌ بما يُسَمِّيهِ بُولُس "الخليقَة الجديدة"، أو "الإنسان الجَديد"، أو "الإنسان الدَّاخِلِيّ." بحَسَبِ بُولُس، عملُ الرُّوحِ القُدُس

المُعجِزِيّ هذا، هُو أشبَهُ بالجِهازِ التَّنَفُّسِيّ الثَّانِي عندَ اليَعسُوب، الذي يَرمُزُ إلى الجسد الرُّوحي الذي سيُعطيهِ اللهُ لِكُلِّ المُؤمنين، والذي سيُمَكِّنُهُم منَ العَيشِ إلى الأبد.

اليَعسُوبُ هُوَ مُعجِزَةٌ في الطَّيرانِ النَّفَّاث في مجالِ حياتِهِ الثَّانِيَة. عندما يَقُومُ المُؤمِنُونَ منَ المَوت، وعندما يُعطينا اللهُ أجساداً رُوحيَّةً تُؤَهِّلُنا للبُعدِ الثَّانِي والأبديّ من حياتِنا، تصَوَّرُوا كيفَ سنَكُون!

قرابَةَ نهايَةِ العهدِ الجديد، في رِسالَةِ يُوحَنَّا الأُولى، يتأمَّلُ هذا الشَّيخُ والقائِدُ المُسِنّ، الرَّسُولُ يُوحَنَّا حولَ من وماذا نكُونُ الآنَ كمُؤمِنين ومن وماذا سنكُونُ في المُستَقبَل. وهُوَ يُخبِرُنا بأنَّ ما سنَكُونُهُ لم يُعلَنْ بَعد، ولكنَّهُ سيَكُونُ رائِعاً يَفُوقُ كُلّ ما يُمكِنُنا أن نتخيَّلَهُ، لأنَّهُ في السَّماء، سوفَ نَكُونُ تماماً كما هُوَ المسيحُ الحَيُّ المقامُ الآن (١يُوحَنَّا ٣: ١، ٢)!

يَكتُبُ بُولُس بِطَريقَةٍ جميلَة أنَّ الخليقَةَ بأسرِها تتطلَّعُ بِشَوقٍ لتنظُرَ المُعجِزَةَ المجيدة عنِ الحالَةِ التي سنَكُونُ عليها. قِيلَ لي أنَّ التَّقَدُّمَ بالسِّنّ هُوَ ليسَ للجُبناء. فبَينما تختَبِرُ التَّقَدُّمَ بالسِّنّ، أو بينما تُلاحِظُ تلكَ العَمَلِيَّةَ في أُولئِكَ الذين تعرِفُهُم وتُحِبُّهُم، لا تَنسَ أبداً أنَّ الجَسَدَ ليسَ إلا "ثوباً أرضِيّاً" للمُؤمن. فاللهُ يمنَحُنا جسداً يُمَكِّنُنا منَ العَيشِ هُنا على الأرض. واللهُ سوفَ يمنحُ كُلَّ تلميذٍ ليسُوع المسيح جسداً رُوحانِيّاً، سيُؤَهِّلُنا للعَيشِ في السماء، عندما يَتِمُّ إستِعلانُنا كأبناءِ الله.

هذانِ العَدَدانِ اللذانِ يَربِطانِ بينَ نُمُوِّنا وإنتِصارِنا وبينَ الألَم والحالَةِ الأبديَّة، تَتبَعُهُما أعدادٌ عَميقَةٌ تُخبِرُنا بِبَعضِ الحقائِقِ المُدهِشَة عن هذا العالم الذي خلَقَهُ هذا العالَم ويحفَظُهُ. فأبناءُ اللهِ ليسُوا خليقَةَ اللهِ الوحيدة التي تحتاجُ عملَ اللهِ الخلاق المُستَمِرّ: "إذ أُخضِعَتِ الخَليقَةُ لِلبُطلِ، ليسَ طَوعاً بَل من أجلِ الذي أخضَعَها على الرَّجاء. لأنَّ الخَليقَةَ نفسَها أيضاً ستُعتَقُ من عُبُوديَّةِ الفَسَادِ إلى حُرِّيَّةِ مَجدِ أولادِ الله. فإنَّنا نعلَمُ أنَّ كُلَّ الخَليقَةِ تَئِنُّ وتَتَمخَّضُ معاً إلى الآن." (رومية ٨: ٢٠- ٢٢)

لِكَي نُتَرجِمَ هذه الأعداد الثَّلاثَة، علينا أن نفهَمَ سُقُوطَ الجنسِ البَشَريّ، كما هُوَ مَوصُوفٌ في الإصحاحاتِ الأُولى من سفرِ التَّكوين، وفي الإصحاحِ الأوَّلِ من هذه الرِّسالَة التي كتبَها بُولُس إلى أهلِ رُومية. عندما يُخطِئُ الإنسانُ، يَتَلَطَّخُ كُلُّ ما يَلمَسُهُ الإنسانُ بخَطِيَّتِهِ هذه. نحنُ نرى نتائِج

الخَطيَّة البَشَريَّة على البيئَة، بطُرُقٍ كثيرَةٍ مُتَنَوِّعَةٍ اليوم. فالطَّمَعُ البَشَرِيُّ يُلَوِّثُ مِياهَنا والهواءَ الذي نتنفَّسُهُ والطَّعام الذي نأكُلُهُ.

بِحَسَبِ وقائِعِ الخلق، تأثَّرَ هذا الخَلقُ ديناميكيَّاً بِسُقُوطِ الإنسان. هذه الأعدادُ تَقُولُ بِبَساطَةٍ أنَّهُ عندما يكتَمِلُ فداءُ الإنسان، سيكُونُ هُناكَ فداءٌ نِهائِيٌّ وكامِلٍ لهذا العالم. فعندما نُفدَى، نُصبِحُ خلائِقَ جديدَة. ولقد علَّمنا بُولُس في هذه الرِّسالَة أنَّ إنسانَنا العَتيق ينبَغي أن يَمُوتَ، لكَي تبدَأَ حياتُنا الجديدة. يُعَلِّمُنا الكتابُ المُقدَّسُ أنَّهُ يوماً ما، سوفَ يخلُقُ اللهُ سماءً جديدَةً وأرضاً جديدَةً يسكُنُ فيها البِرّ. (٢بُطرُس ٣: ١٣)

يُخبِرُنا بُولُس هُنا في الإصحاحِ الثَّامِن من رسالَتِهِ إلى أهلِ رُومية، أنَّ الخليقَةَ الحاضِرَة تَئِنُّ وتَتَمخَّضُ للوُصُولِ إلى الخليقَةِ الجديدة. "وليسَ هكذا فقط بل نحنُ الذين لنا باكُورَة الرُّوح، نحنُ أنفُسُنا أيضاً نَئِنُّ في أنفُسِنا مُتَوقِّعِينَ التَّبَنِّي فِداءَ أجسادِنا. لأنَّنا بالرَّجاءِ خَلَصنا. ولكنَّ الرَّجاءَ المَنظُورَ ليسَ رَجاءً. لأنَّ ما ينظُرُهُ أحدٌ كيفَ يرجُوهُ أيضاً. ولكن إن كُنَّا نرجُو ما لَسنا ننظُرُهُ فإنَّنا نتوقَّعُهُ بالصَّبر." (رُومية ٨: ٢٣- ٢٥).

هُنا يرجِعُ بُولُس إلى مَوضُوع فدائِنا النِّهائي والكامِل. وهُوَ يكتُبُ قائِلاً أنَّنا نخلُصُ برجاءِ قيامَةِ الأجساد. وهُوَ يقصُدُ أنَّنا بِمعنىً ما لن يكتَمِلَ فداؤُنا نِهائِيَّاً، إلى أن نَقُومَ ونَصِلَ إلى الحالَةِ الأبديَّة. فالأشخاصُ الأتقِياءُ يمُوتُونَ، ونحنُ نتساءَلُ غالِباً لماذا لم يُشفَوا؟

نَجِدُ الجوابَ جُزئِيَّاً في هذه الأعداد. فتماماً كما أنَّ فِداءَهُم لن يكتَمِلَ نهائِيَّاً إلى أن يَصلُوا إلى الأبديَّة، فإنَّ شِفاءَهُم أيضاً لن يكتَمِلَ إلى أن يَقُوموا ويَصِلُوا إلى السماء. عندما يُعطيهِم اللهُ الجسدَ الرُّوحِيَّ الذي سيُمَكِّنُهُم منَ العَيشِ في السَّماء، فإنَّ شِفاءَهُم وفداءَهُم سيَكتَمِلانِ تماماً.

صَلِّ على أيَّةِ حال

"وكذلكَ الرُّوحُ أيضاً يُعِينُ ضَعَفاتِنا. لأنَّنا لسنا نعلَمُ ما نُصَلِّي لأجلِهِ كما يَنبَغي، ولكنَّ الرُّوحَ نفسَهُ يشفَعُ فينا بأنَّاتٍ لا يُنطَقُ بها. ولكنَّ الذي يفحَصُ القُلُوبَ يعلَمُ ما هُوَ إهتِمامُ الرُّوح. لأنَّهُ بِحَسَبِ مَشيئَةِ اللهِ يشفَعُ في القِدِّيسين." (رُومية ٨: ٢٦- ٢٧).

لاحِظُوا التَّشديد في الأعدادِ التي إقتَبَستُها، والتي كتبَها بُولُس للكُورنثِيِّين، ولا سِيَّما في الأعداد ٢٣ إلى ٢٥ من هذا الإصحاحِ الثَّامِن من رسالَةِ رُومية، على كَونِ أجسادِنا والخَليقَة معاً تتمخَّضُ وَتئِنُّ مُتَشَوِّقَةً لتختَبِرَ معنَى الفداءِ النِّهائِيِّ الكامِل. يُضيفُ بُولُس إلى هذا مقطعاً قدَّمَ الكثيرَ منَ التَّعزِيَة لملايينِ المُؤمنين لحوالَي ألفَي عام. كتبَ يَقُولُ أنَّ اللهَ يسمَعُ أنَّاتِنا، ويرثِي لِضَعفاتنا بِطَريقَةٍ جَميلَة.

أيُّ مُؤمِنٍ يتعلَّمُ الإنضباط الرُّوحِيّ بالصَّلاة، يعلَمُ أنَّهُ علينا أن نُصَلِّيَ بإنسجامٍ وإتِّفاقٍ مع مَشيئَةِ الله. ولكنَّ مُشكِلَتَنا هي أنَّنا غالِباً ما نجهَلُ ما هي إرادَةُ اللهِ، عندما نقتَرِبُ من عرشِهِ ونُقَدِّمُ لهُ طلباتِنا وتضرُّعاتِنا. لهذا يتوقَّفُ البَعضُ منَّا عنِ الإقتِرابِ منَ اللهِ وعن تقديمِ طلباتِنا وتضرُّعاتِنا أمامَهُ.

نصيحَةُ هذا الرَّسُول هي أنَّهُ علَينا أن نُصَلِّي على أيَّةِ حال. التَّفسيرُ المُوحَى والعَميق لهذه النَّصيحة، هُو أنَّ الرُّوحَ القُدُس يعرِفُ مشيئَةَ الله حيالَ كُلِّ طِلبَةٍ نُقَدِّمُها أمامَهُ في صلواتِنا. فعندما نُصَلِّي على أيَّةِ حال، أو حتَّى إذا طَلَبنا شَيئاً غيرَ مُتَضَمِّنٍ في مشيئَةِ اللهِ ولا في خُطَّتِهِ لنا، ولا لِلَّذِينَ نُصَلِّي لأجلِهم، سوفَ يتشفَّعُ الرُّوحُ القُدُسُ لأجلِنا بِحَسَبِ مشيئَةِ الله! بِلُغَةٍ بَسيطَةٍ وصريحة، هذا يعني أنَّنا عندما نُصَلِّي طالِبينَ الشَّيءَ الخَطأ، إن كانَت قُلُوبُنا مُستَقيمَةً أمامَ الله، فإنَّ الرُّوحَ القُدُسَ سيتشفَّعُ بنا، واللهُ سيُعطينا ما هُوَ بِحَسَبِ مشيئَتِهِ، سواءٌ لنا أم لأُولئِكَ الذين نُصَلِّي لأجلِهم.

أشكُرُ اللهَ على هذا الوعد، وعلى أنَّ اللهَ لم يستَجِبْ بعضَ صلواتي. فالآن وقد نضَجتُ رُوحيَّاً أكثَرَ من ذِي قَبل، وبعدَ أن تقدَّمتُ في مَسيرِي معَ المسيح، وبإمكانِي النَّظَرَ إلى وراء لأرى كيفَ أنَّ اللهَ عَمِلَ في حياتِي، بإستِطاعَتِي القَول، "شُكراً أيُّها الرُّوحُ القُدُسُ على التَّشَفُّعِ بي عندما كُنتُ أُصَلِّي طالِباً أشياءَ مغلُوطَة.

في العهدِ القَديم، تُوجدُ بِضعَةُ أمثِلَةٍ عن رِجالٍ أتقِياء صَلُّوا طالِبينَ المَوتَ لأنفُسِهِم. مُوسى، إيليَّا، أيُّوب، ويُونان وصَلُّوا إلى نُقطَةِ الإكتِئابِ واليأس، حيثُ طَلَبُوا منَ اللهِ أن يُميتَهُم. حتَّى رجالاتِ اللهِ العِظام هؤُلاء قد أُنهِكُوا جسديَّاً، عقلِيَّاً، عاطِفيَّاً وحتَّى رُوحيَّاً، لدرَجةِ أنَّهُم طلَبُوا منَ اللهِ شَيئاً

خطأً. ولكن بما أنَّ قُلُوبَهُم كانت مُستَقيمَةً أمامَ الله، فإنَّ أباهُم السَّماوِيّ المُحِبّ لم يَستَجِبْ لصلواتِهِم ولم يسمَحْ بمَوتِهِم.

فلقد أعطَى اللهُ لمُوسى سَبعينَ رَجُلاً ليُساعِدُوهُ على تحمُّلِ أعباءِ قيادَةِ الشَّعب، التي سبقَت وقادَتْهُ إلى الإكتِئابِ واليأس. ولِحَوالَي أربَعين سنَةً، كانَ مُوسَى يَقُودُ بني إسرائيل، بينما كانُوا يجُولُونَ تائِهينَ في حلقَةٍ مُفرَغَةٍ وسطَ صحراءِ البَرِّيَّةِ القاحِلَة لأربَعين سنَةً، بينما كانَ بالإمكانِ إجتيازُ هذه الصحراء بأحد عشرَ يَوماً. لقد كانَ مُوسَى مُنهَكاً، وتَعِبَ من كَونِهِ مُتعَباً. في حضارَتِنا المُعاصِرَة، نَصِفُ الشَّخص في هذه الحالَة بأنَّهُ "إحتَرَقَ." (عدد ١١: ١٠- ١٧)

جمالُ الحقيقَة التي يُعَلِّمُها بُولُس في هذه التَّوصِيَة عنِ الصَّلاة، هُو أنَّهُ علينا أن لا ندعَ حقيقَةَ كَونِنا نجهَلُ مشيئَةَ الله تمنَعُنا عنِ الصَّلاة. فعَلَينا أن نُصَلِّي على أيَّةِ حال، لأنَّ الرُّوحَ القُدُسَ سوفَ يتشفَّعُ بنا، واللهُ سيُعطينا الشيءَ الصَّحيحَ الذي ينسَجِمُ معَ مشيئَتِهِ.

النَّبِيُّ إيليَّا أهمَلَ شَيئاً أودُّ تَسمِيَتُهُ، "صِيانَة الهَيكَل." يُعَلِّمُنا بُولُس أنَّ جسدَنا هُوَ هيكَلُ الرُّوحِ القُدُس. وبما أنَّ حياتَنا الجسديَّة، الرُّوحيَّة، العقليَّة والعاطِفيَّة ممزُوجَةً معاً في بَوتَقَةٍ واحدة، فعِندَما تُهمَلُ النَّاحِيَةُ الجسديَّةُ في حياتِنا، يُؤَدِّي الإنهاكُ الجسديُّ إلى إرهاقٍ ذهنِيّ، وعاطِفِيّ ورُوحِيّ. عندما طَلَبَ إيليَّا منَ اللهِ أن يُمِيتَهُ، أوقعَ اللهُ عليهِ سُباتاً عميقاً، ثُمَّ أيقَظَهُ وأطعَمَهُ، ثُمَّ أوقعَ عليهِ سُباتاً عميقاً من جَديد. نقرأُ أنَّ هذا النَّبِيَّ العظيم الذي سبقَ وطلبَ المَوتَ لنَفسِهِ، قد إستَعادَ قُوَّتَهُ تماماً، وبواسِطَةِ نَشاطِ ذلكَ الطَّعامِ والرَّاحَة، إستطاعَ أن يُسافِرَ أربَعينَ يوماً! فنجدُ أنَّهُ عندما طَلَبَ منَ اللهِ الشَّيءَ الخطأ، أعطاهُ اللهُ الشَّيءَ الصَّواب. (١مُلُوك ١٩: ١- ٨)

إذا قَرأتُم أقوالَ أيُّوب بِعنايَةٍ، سوفَ تَرَونَ أنَّ ألَمَ أيُّوب وصلَ بهِ إلى المرحلَة التي صَلَّى فيها هُوَ بِدَورِهِ صلاةَ مُوسَى وإيليَّا. (أيُّوب ٣: ١١؛ ١٠: ١٨) ولقد إنضَمَّ النَّبِيُّ يُونان إلى هؤُلاء الرِّجالِ الثَّلاثَة، وصَلَّى بِدَورِهِ هذه الصَّلاة (يُونان ٤). ولكنَّ اللهَ لم يُمِتْ أيُّوب ولا يُونان. عندما صَلُّوا هذه الصَّلاة، أعطاهُم اللهُ جَوهَرَ السِّفرَين اللذينِ سُمِّيا على إسمَيهِما. هذه الأمثِلَة الأربَعة تُعَلِّمُنا أنَّهُ حتَّى النَّاس الأتقِياء جدَّاً، يُمكِنُهم أن يَصِلُوا إلى

مَرحَلَةٍ يفقِدُونَ فيها إتِّجاهَهُم الصَّحيح، فيطلُبُونَ منَ اللهِ الشَّيءَ الخطأ. هؤُلاء الرِّجال الأربَعة هُم أمثِلَةٌ عمَّا يُعَلِّمُنا إيَّاهُ بُولُس في هذه التَّوصِيَة العميقة والمُمَيَّزَة عنِ الصَّلاة.

هذانِ العَددان (رُومية ٨: ٢٦، ٢٧)، يُشَكِّلانِ الخَلفِيَّة التي تُمَهِّدُ للعَدَدِ الذي يَليهِما، والذي أعطَى الكثيرَ منَ التَّعزِيَةِ والإلهَام لِلملايين منَ المُؤمنينَ المسيحيِّين، منذُ كتابَةِ هذه الرِّسالَة. ويُمكِنُ لهذا العددِ أيضاً أن يُساءَ فهمُهُ ويُساءَ تطبِيقُهُ أكثَرَ من أيِّ عددٍ آخر في كتاباتِ بُولُس الرَّسُول: "ونحنُ نعلَمُ أنَّ كُلَّ الأشياءِ تعمَلُ معاً لِلخَير للذينَ يُحِبُّونَ الله، الذين هُم مَدعُوُّونَ حسبَ قَصدِهِ." (رُومية ٨: ٢٨)

يبدَأُ هذا العددُ بِوعدٍ رائِعٍ بأنَّ كُلَّ الأشياء ستعمَلُ معاً لِلخَير. يستخدِمُ بُولُس الكَلِمتين "كُلَّ الأشياء" مراراً وتكراراً، ولكن ليسَ بِخِفَّةٍ أو إبتِذال. ولقد تفرَّسَ كُلٌّ منَ المُؤمنينَ وغير المُؤمنين بهاتَينِ الكَلِمَتَين، خلالَ مُعاناتِهِم من مآسي الحياة، كَتِلكَ التي تُسَبِّبُها الحُرُوب أو الشُّرُور الأُخرى. هذه الأحداثُ المأساوِيَّة غالِباً ما تُفَسَّرُ فقط بالفَوضى العارِمَة، أو بالحقيقَةِ القاسِيَة أنَّها حدَثَت في المكانِ والزَّمانِ غيرِ المُناسِبَينَ بتاتاً. وهكذا ينظُرُ النَّاسُ إلى هاتَينِ الكَلِمَتَينِ ويتساءلُونَ قائِلين، "كُلَّ الأشياء يا بُولُس؟ حتَّى هذه المأساة؟"

تأمَّلُوا بهذه الترجمَة التَّفسيريَّة لهذا العدد، والتي هي أقرَبُ ما يكُونُ لِلُّغَةِ الأصليَّة ولِقَصدِ بُولُس عندما كتبَ هذه الكلمات: "وفوقَ ذلكَ، نحنُ نعلَمُ أنَّ أُولئكَ الذين يُحِبُّونَ الله، والذين هُم مَدعُوُّونَ بِحَسَبِ خُطَّتِهِ، كُلُّ ما يحدُثُ لهُم يجدُ مكانَهُ للعَمَلِ لِخيرِهِم." (٢٨) أوَدُّ أن أُقدِّمَ مُلاحَظَتَين حولَ هذا العدد. المُلاحَظة الأُولى هي أنَّ الوعدَ الذي بهِ يبدَأُ هذا العدد هُوَ وعدٌ مَشروطٌ. فهُناكَ شَرطانِ مُهِمَّانِ ينبَغي أن يتحقَّقَا قبلَ أن يُطَبَّقَ هذا العددُ على حياةِ ومشاكِلِ النَّاس:

١-يجِبُ أن يُحِبُّوا الله.

٢-يَجِبُ أن يَكُونُ مَدعُوِّينَ بِحَسَبِ خُطَّتِهِ.

ماذا يعني بالتَّحديد أن نُحِبَّ الله؟ يُخبِرُنا الرَّسُولُ يُوحَنَّا أنَّهُ ليسَ منَ السَّهلِ أن نُحِبَّ الله. وهُوَ يتحدَّانا بِسُؤالٍ: "إن قالَ أحَدٌ إنِّي أُحِبُّ اللهَ وأبغَضَ أخاهُ فهُوَ كاذِبٌ. لأنَّ من لا يُحِبُّ أخاهُ الذي أبصَرَهُ كيفَ يَقدِرُ أن

يُحِبَّ اللهَ الذي لم يُبصِرْهُ." (١يُوحنَّا ٤: ٢٠). بالنِّسبةِ لِبُولُس، نُظهِرُ أنَّنا نُحِبُّ اللهَ عندما نَكُونُ مَدعُوِّينَ بِحَسَبِ خُطَّتِهِ. فعندما تَكُونُ أولَوِيَّةُ كُلِّ خَلِيَّةٍ من كيانِنا هي أن نَكُونَ مَدعُوِّينَ بِحَسَبِ خُطَّةِ اللهِ، على مِثالِ مُوسى، إيليَّا، أيُّوب ويُونان، عندها نُلَبِّي الشُّرُوط التي تُمَكِّنُنا من تطبيقِ هذا العدد على حياتِنا وعلى مشاكِلِنا، بِغَضِّ النَّظَر عن مقدارِ مأساوِيَّةِ وعبَثِيَّةِ مظهَرِ هذه المشاكِل.

عندما وعظتُ أنَّ كُلَّ الأشياء تعمَلُ معاً لِلخَير، رأيتَ مُؤمنينَ وغيرَ مُؤمنين، منَ الذي إجتازُوا تجارِبَ مأساوِيَّة، وقَفُوا أمامِي وتحدُّوا عِظَتي. الحقيقَةُ المُرَّةُ الرَّهيبَةُ والقاسِيَة هي أنَّهُ إن كان تَوَجُّهُ حياتِهِم بأسرِها كانَ دائماً غيرَ رُوحيٍّ، عِلمانِيَّاً مُلحداً، أنانِيَّاً ومَدفُوعاً بقِيَمِ هذا العالَمِ الذي لا يَعرِفُ اللهَ، فلن يتمكَّنُوا ولا حتَّى منَ البَدءِ بتطبيقِ هذا العدد على حياتِهِم وعلى مشاكِلِهِم المأساوِيَّة.

مُلاحَظَتي الثَّانية هي أنَّهُ عندما يُفهَمُ هذا العددُ بِشكلٍ صحيح، نَجِدُ أنَّهُ لا يُسمِّي خَيراً كُلَّ ما يحدُثُ ولا حتَّى للمُؤمن التَّقي الذي يتبعُ المسيحَ بإخلاص. فقد لا نَجِدُ أيَّ خيرٍ بتاتاً في ما قد يحدُثُ لنا. لقد كانَ يسُوعُ واقِعِيَّاً، وهكذا كانَ رَسُولُهُ المحبُوب بُولُس.

علَّمنا يسُوعُ أنَّهُ في هذا العالَم، سيَكُونُ لنا ضِيقٌ (يُوحَنَّا ١٦: ٣٣)، ومن خلالِ المِثالِ والتَّعليم، أوضَحَ هذا الرَّسُولُ ورَبُّهُ يسُوع أنَّنا غالِباً ما نتألَّمُ لأنَّ الشِّرِّيرَ يكرَهُ المسيحَ وخاصَّتَهُ. فالوعدُ في هذا العدد هُوَ أنَّنا إذا كُنَّا مُؤَهَّلِين، فإنَّ إلَهَنا يقدِرُ أن يأخُذَ كُلَّ ما يحدُثُ لنا، حتَّى عندَما لا يَكُونُ أيُّ خَيرٍ في المشاكِلِ المأساوِيَّة التي تُصيبُنا، وبإمكانِهِ أن يجعَلَ هذه المشاكِلَ تَجِدُ مكاناً خاصَّاً في هيكَلِيَّةِ حياتِنا يعمَلُ لِخَيرِنا.

هذا يطرَحُ سُؤالاً آخَر. خَيرُ مَنْ يُشَارُ إليهِ هُنا – خَيرُنا نحنُ، أم خَيرُ اللهِ؟ يُجابُ على هذا السُّؤال من خلالِ الشُّرُوط التي يرتَكِزُ عليها هذا الوَعد. فإن كُنَّا نُحِبُّ اللهَ، وإن كانت شهوَةُ قُلُوبِنا هي أن نَكُونَ مَدعُوِّينَ بِحَسَبِ وعدِهِ، فالخَيرُ الوحيد الذي يهُمُّنا هُوَ خَيرُ اللهِ. فَفِي كُلِّ مرَّةٍ نُواجِهُ المشاكِلَ المَأساوِيَّة، جوابُنا المُباشَر ينبَغي أن يَكُون: "كيفَ يُمكِنُ لهذه المأساة أن تَصُبَّ لِخَيرَ ومَجدِ اللهِ؟"

نَصَحَ المُرَنِّمُ بسُؤالٍ مُشابِه عندما نُعانِي منَ الألَم. كتبَ يَقُول: "إذا إنقَلَبَتِ الأعمِدَة، فالصِّدِّيق ماذا يفعَلُ؟" بناءً على دراساتِ عُلماءِ اللُّغَةِ العِبريَّة، الترجمَةُ الحَرفِيَّة للكلماتِ العِبريَّة التي دَوَّنَها المرَنِّمُ العِبرِيُّ القَديم هي: "عندما تتحطَّمُ أساساتُ حياتِنا، ماذا يكُونُ البَارُّ الصِّدِيقُ [بمعنى الله] يفعَلُ؟" (مزمُور ١١: ٣)

قبلَ أن نُطَبِّقَ هذا الوعد الرَّائِع بأنَّ كُلَّ الاشياء تعمَلُ معاً لِلخَير، علينا بِبَساطَةٍ أن نفهَمَ ونُطَبِّقَ هذهِ الشُّرُوط المُسبَقَة. وإن لم نفعَلْ ذلكَ لن نفهَمَ ولن نقدُرَ قيمَةَ هذا العدد.

عِنايَةُ الله

يُلحِقُ بُولُس هذه الأعداد الثَّلاثَة عن وُجهَةِ نظَرٍ وتوصِيَةِ الصَّلاةِ العَظيمة، بإحدَى أسمَى وأجَلّ الكلمات التي سبقَ ودُوِّنَت في وَحيِ الرُّوح القُدُس. تَذَكَّرُوا أنَّهُ لا يزالُ يُعالِجُ المَوضُوعَ الذي بدَأَهُ في العددِ الثَّانِي منَ الإصحاحِ الخامِس. فكيفَ يُمكِنُ لخُطاةٍ أُعلِنُوا أبراراً من قِبَلِ اللهِ، أن يعِيشُوا حياةً بارَّة؟ لقد شكَّلَ المُنتَصِرُونَ الأربَعة والمبادِئ الرُّوحيَّة الأربَعَة جوابَهُ على هذا السُّؤال. وها هُوَ الآن يُعطينا جوابَهُ الأعَظم، الأقوَى، الأكثَر إقناعاً وإلهاماً وفصاحَةً، على هذا السُّؤال، الذي يستَنتِجُ أنَّهُ بإمكانِنا أن نَكُونَ أعظَمَ من مُنتَصِرين، لا بَل بإمكانِنا أن نَكُونَ مُنتَصِرينَ فَوقَ العادَة!

إنَّ جَوهَرَ ذُروَةِ كتاباتِ بُولُس الرَّسُول المُلهِمَة، هي أنَّ إنتِصارَنا لَيسَ قَضِيَّةَ مَنْ وماذا نحنُ. فالإنتِصارُ الرُّوحِيُّ ليسَ قَضِيَّةَ ماذا نستَطيعُ أو لا نَستَطيعُ فعلُهُ. إنتِصارُنا ليسَت لهُ علاقَةٌ معَ ما نُريدُهُ. بل يَجدُ الإنتِصارُ الرُّوحِيُّ مصدَرَهُ وقُوَّتَهُ الدِّينامِيكيَّة في من وما هُوَ الله، وفيما يستطيعُ ويُريدُ فعلَهُ. إنَّهُ مصدَرُ إنتِصارِنا. وهُوَ القُوَّةُ الكامِنَةُ خلفَ إنتِصارِنا الآن وفي الدَّهرِ الآتِي. ومجدُهُ هُوَ هَدَفُ كُلّ ما يحدُثُ لنا – كَونَنا خُطاةً مُتَبرِّرِينَ للتَّقوى.

عندما يختُمُ مقطَعَهُ التَّعليميّ عن هذه التُّحفَة، يستَخدِمُ مُجدَّداً عبارَة "كُلّ الأشياء." فهُوَ سيَكتُبُ من جَديد، "لأنَّ منهُ وبهِ ولَهُ كُلُّ الأشياء. لهُ المَجدُ إلى الأبد. آمِين." (رُومية ١١: ٣٦). هذا العدد سيأتي لاحِقاً، ولكن

إذا قرأنا الأعداد الأربَعة الأخيرة منَ الإصحاحِ الحادِي عشَر، قبلَ أن نقرأَ هذا المقطَع الذي نحنُ بِصَدَدِهِ الآن، فإنَّ هذا سيَمنَحُنا وُجهَةَ نظَرٍ ستُسَاعِدُنا على فهمِ هذا المقطع الذي يُعتَبَرُ القِمَّةَ لكُلِّ الكتاباتِ المُوحى بها لهذا الرَّسُول الذي كتبَ نِصفَ العهدِ الجديد.

يبدَأُ بِالقَولِ أنَّهُ عندما قَرَّرَ اللهُ أن يُرسِلَ إبنَهُ إلى عالَمِنا لكي يستطيعَ أن يُعلِنَنا نحنُ الخُطاة أبراراً، تطلَّبَ الأمرُ لكي يُطَبِّقَ اللهُ هذه المُعجِزَة علينا، تطلَّبَهُ الأمرُ ثلاثَ مُعجِزاتٍ يمكنُهُ القِيام بها. وهُوَ يُخبِرُنا أيضاً أنَّنا بعدَ أن تبرَّرنا، سيَكُونُ هُناكَ بُعدٌ مُستَقبَلِيٌّ لحياتِنا المُستَقيمَة، التي تتطلَّبُ أيضاً مُعجِزَةً، وحدَهُ اللهُ يستَطيعُ إنجازَها.

كتبَ يَقُولُ: "لأنَّ الذين سبقَ فعَرَفَهُم سبقَ فَعَيَّنَهُم ليَكُونُوا مُشابِهينَ صُورَةَ إبنِهِ، ليَكُونَ هُوَ بِكراً بَينَ إخوَةٍ كثيرين. والذي سبقَ فعَيَّنَهُم فهَؤُلاء دعاهُم أيضاً. والذين دعاهُم فهَؤُلاء بَرَّرَهُم أيضاً. والذين برَّرَهُم فهَؤُلاء مجَّدَهُم أيضاً." (رُومية ٨: ٢٩، ٣٠).

المُعجِزَةُ الأُولى للعِنايَةِ الإلهيَّة في تبريرنا بالإيمان، هي أنَّ اللهَ عرفَ مُسبَقاً أُولئكَ الذينَ سيُعلِنُهُم أبراراً. عندما نُطَبِّقُ المعرِفَةَ المُسبَقَة على اللهِ، نُسمِّيها "العِلمُ بِكُلِّ شَيء." هذا يعني أنَّ اللهَ يعلَمُ بكُلِّ شَيء، ماضِياً، حاضِراً، ومُستَقبَلاً. واللهُ لا يتفاجَأُ بتاتاً بأيِّ شَيءٍ يحدُث. عندما سقَطَ الجنسُ البَشَرِيُّ في آدم، لم يتفاجأْ الله. ولم يتوجَّبْ عليهِ اللُّجُوء إلى خُطَّةٍ بديلَةٍ. بل كانَ فداءُ الإنسانِ السَّاقِط دائماً في خُطَّةِ الله.

كَونُ اللهِ عَلِمَ أنَّنا سنتبرَّرُ، لا يعني أنَّهُ إنتَهَكَ حُرِّيَّةَ إرادَةِ أُولئكَ الذينَ أُعلِنُوا أبراراً. كَون الله عَيَّنَ مُسبَقاً أُولئكَ الذين عرَفَهُم، لا يعني أنَّهُ إختَارَ أحدَهُم للسَّماءِ والآخَرُ لجَهَنَّم. فعندما نَصِلُ إلى الإصحاحِ التَّاسِع، سوفَ ندرُسُ مفهُومَ الإختِيار، الذي يُثيرُ هكذا أسئِلَة. التَّعليمُ هُنا هُوَ بِبَساطَةٍ أنَّ اللهَ عَيَّنَ مُسبَقاً خُطاةً مُبَرَّرِينَ ليَكُونُوا على صُورَةِ إبنِهِ.

عندما يَعِيشُ الذين أُعلِنُوا أبراراً بإستِقامَة، كيفَ سيعلَمُونَ ماذا يعني العَيشُ الصَّحيح؟ هذا واحِدٌ من عدَّةِ أهدافٍ لأجلِها أرسَلَ اللهُ إبنَهُ إلى هذا العالم. لقد عيَّنَ اللهُ مُسبَقاً، وحددَ مُسبَقاً أنَّ إبنَهُ سيَكُونُ الأوَّل بينَ كَثيرِينَ منَ الذين سيَكُونُونَ على صُورَتِهِ، لأنَّهُم سيُشابِهُونَ صُورَةَ إبنِهِ كإخوَةٍ كثيرِين. لهذا نقرأُ أنَّهُ لا يَستَحي بأن يدعُوَهم إخوَةً لهُ (عبرانِيِّين ٢: ١١).

المُعجِزَةُ الثَّالِثَة التي ينبَغي أن تأتيَ منَ الله، لكي نَكُونَ مُشابِهينَ صُورَةَ إبنهِ، هي أنَّ أُولئكَ الذين سبقَ فعرَفَهُم وسبقَ فعيَّنَهُم، قد دعاهُم أيضاً. لقد سبقتُ وأَشَرتُ إلى أنَّ هذه واحِدَةٌ من كلِماتِ بُولُس المُفضَّلَة لوصفِ أتباعِ المسيح الذينَ يختَبِرُونَ الخلاص. فأن يكُونَ الإنسانُ مُتَبَرِّراً بالإيمان، وأن يَجِدَ وُصُولاً بالإيمانِ إلى النَّعمة، هُوَ أكثَرُ من مُجَرَّدِ قضيَّةٍ فِكريَّة. إنَّها دَعوَةٌ للتَّمتُّعِ بعلاقَةٍ معَ المسيحِ الحَيِّ المُقام (١كُورنثُوس ١: ٩). فاللهُ يُريدُنا أن نعرِفَ إبنَهُ، وأن نُصبِحَ مُشابِهينَ لهُ.

هذه المُعجزاتُ الثَّلاثُ تُوفِّرُ الإطارَ للمَوضُوعِ الأساسيّ لهذه الرِّسالة: الذين سبقَ فعرَفَهُم وعَيَّنَهُم ودعاهُم، فهؤُلاء قد بَرَّرَهُم. ثُمَّ يَذهَبُ بُولُس إلى ما وراء هذه الحياة، ويتنبَّأُ عن مجالٍ حاضِرٍ ومُستَقبَلٍ لهذه المُعجِزَة. أُولئكَ الذين بَرَّرَهُم، هؤُلاء قد مجَّدَهُم أيضاً. هذا يُظهِرُ تلكَ المُعجِزات العظيمة التي وصفَها بُولُس بطريقَةٍ جميلَة للكُورنثِيِّين، عندما سيَقومُ اللهُ الذي أعطانا جسداً أرضِيَّاً لِنَعيشَ فيهِ هذه الحياة، بأعطائِنا جسداً رُوحيَّاً سماوِيَّاً لِنَحيَا في السَّماء.

ولكنَّ هذا العدد يُرينا أيضاً أنَّ إختِبارَ كَونِنا مُمَجَّدِينَ يبدَأُ عندما نتبرَّرُ بالإيمان، ونَصِلُ إلى نِعمَةِ الله. عندما تُغَيِّرُ نِعمَةُ اللهِ حياتَنا فنُصبِحُ خلائِقَ جديدَة، يُعطينا إنسانُنا الدَّاخِليُّ صُورَةً مُسبَقَةً عن الحالَةِ المُمَجَّدَة التي سنَختَبِرُها للأبديَّة.

أسئِلَة وأَجوِبَة

يطرَحُ بُولُس الآن سبعَةَ أسئِلَةٍ لها أجوِبَةٌ مُثِيرَةٌ لِلغَايَة: "فماذا نَقُولُ لِهذا؟ إن كانَ اللهُ معنا فمَن علينا. الذي لَم يُشفِقْ على إبنِهِ، بَل بَذَلَهُ لأجلِنا أجمَعين، كيفَ لا يَهَبُنا أيضاً معَهُ كُلَّ شَيء. مَن سَيَشتَكِي على مُختاري الله. اللهُ هُوَ الذي يُبَرِّرُ. من هُوَ الذي يَدين. المسيحُ هُوَ الذي ماتَ بَل بالحَرِيِّ قامَ أيضاً، الذي هُوَ عن يَمِينِ اللهِ الذي أيضاً يَشفَعُ فينا. من سَيفصِلُنا عن محبَّةِ المسيح؟ أشِدَّةٌ أم ضِيقٌ أم إضطِّهاد، أم جُوعٌ أم عُريٌ أم خَطَرٌ أم سَيف؟ كما هُوَ مكتُوبٌ إنَّنا من أجلِكَ نُمَاتُ كُلَّ النَّهار. قد حُسِبنا مثلَ غَنَمٍ للذَّبح. ولكنَّنا في هذه جميعِها يعظُمُ إنتِصارُنا بالذي أحَبَّنا. فإنِّي مُتَيَقِّنٌ أنَّهُ لا مَوتَ ولا حياة، ولا ملائكَة ولا رُؤساء ولا قُوَّات ولا أُمُور حاضِرَة ولا

مُستَقبَلَة. ولا عُلوَ ولا عُمقَ ولا خَليقَةَ أُخرى تَقدِرُ أن تفصِلَنا عن محبَّةِ اللهِ في المسيح يسُوع رَبِّنا." (رُومية ٨: ٣١- ٣٩).

أوَّلُ سُؤالٍ يُطرَحُ من قِبَلِ بُولُس، يحُضُّنا على الإجابَةِ على إعلاناتِهِ المجيدة: ماذا نَقُولُ عن كُلِّ هذا؟ يبدو وكأنَّ هذا هُوَ جَوهَرُ السُّؤالِ الأوَّل. السُّؤالُ الثَّاني يُرينا ما يُؤمِنُ بهِ بُولُس. فإن كانَ اللهُ يدعُونا لنختَبِرَ هذه المُعجِزاتِ الخمس، وإن كانَ فداؤُنا النِّهائِي والكامِل يعتَمِدُ على اللهِ بدَلَ أن يعتَمِدَ علينا، فمن يستطيعُ أن يَقِفَ ضِدَّنا؟

السُّؤالُ الثَّالِثُ يُقدِّمُ مفهُوماً مُهِمَّاً في هذه المرحلة الهامَّة من هذه الرِّسالَة الرَّائِعة. فإن كانَ اللهُ المُحِبُّ قد أحَبَّنا لِدَرَجَةِ أنَّهُ أعطانا إبنَهُ، أوَلَن يمنَحنا مجَّاناً كُلَّ ما نحتاجُهُ لنَتبَعَ إبنَهُ، أي مُخَلِّصَنا ورَبَّنا يسُوع؟ لقد تفكَّرَ بُولُس مُسبَقاً بأنَّنا إذا كُنَّا قد تصالَحنا معَ الله بمَوتِ إبنِهِ، أوَلَن نخلُصَ أكثَرَ جدَّاً بحياةِ هذا الإبنِ الحَيّ المُقام؟ (رُومية ٥: ١٠).

تأمَّلُوا بهذا السُّؤالِ الرَّابِع في إطارِ الدَّينُونَة التي كتبَ بُولُس عنها في الإصحاحِ الثَّانِي. من سيشتَكي على مُختارِي الله؟ بالطَّبعِ لن يَقُومَ اللهُ بِهذا، لأنَّ اللهَ هُوَ الذي يُعلِنُنا نحنُ الخُطاة مُبَرَّرِين. فلقد أخلى السَّماءَ وضحَّى بإبنِهِ لِيُبَرِّرَنا. فلا يُمكِنُ أن يدينَنا.

السُّؤالُ الخامِسُ هَو، "من هُوَ الذي يَدين؟" تُوجَدُ فكرتانِ مُتَضَمِّنتانِ هُنا: يسُوع المسيحُ مُعَيَّنٌ من قِبَلِ اللهِ بأنَّهُ إستُودِعَ الدَّينُونَةَ بكامِلِها (يُوحَنَّا ٥: ٢٢). لهذا فهُوَ مُؤَهَّلٌ ليَدِينَنا، ولكنَّهُ أعلنَ أنَّهُ لم يأتِ ليدينَ العالم، بل لِيَخلُصَ بهِ العالَمُ (يُوحَنَّا ٣: ١٧). بما أنَّهُ دفعَ ثمنَ فدائِنا، فلن يدينَنا. بَل يسُوعُ جالِسٌ عن يمينِ الآبِ يشفَعُ فينا (عبرانِيين ٧: ٢٥؛ ١يُوحَنَّا ٢: ١).

فكرَةٌ أُخرى مُتَضَمَّنَة هُنا، تُشيرُ إلى مُهِمَّةِ الشَّيطان. نقرأُ أنَّ الشَّيطانَ هُوَ المُشتَكي على الإخوة، وأنَّهُ يشتَكي عليهِم نهاراً ولَيلاً. عندما سيَتِمُّ القضاءُ عليهِ كَمُشتَكي، سوفَ يزدَهِرُ ملكُوتُ اللهِ بِقُوَّةٍ عظيمة (رُؤيا ١٢: ١٠، ١١).

أحدُ مُفَسِّري الكتاب المُقدَّس المُفضَّلينَ عندي، والذي خدَمتُ معَهُ كمُساعِدِ قَسِّيسٍ عندما كُنتُ شابَّاً، فسَّرَ لي كلمة "مُبَرَّر،" التي تعني "مُعلَن بارَّاً،" بأنَّ المقصُود منها هُوَ "مُعلَن مُستَحِقَّاً." يُصارِعُ النَّاسُ ويختَبِرُونَ مُنازعاتٍ غريبَة، وهُم يُحاوِلُونَ إكتِسابَ بعض الإستِحقاق الذَّاتِي بإنجازِ

الأعمالِ الصَّالِحة. رِسالَةُ هذه التُّحفَة اللاهُوتيَّة الرَّائِعة منَ الكتابِ المُقدَّس هي أنَّ اللهَ يُقدِّمُ لعالَمِ الخُطاةِ، إستِحقاقاً مُعلَناً لا يعتَمِدُ على أدائِهم الإيجابِي ولا السَّلبِيّ.

يكتُبُ بُولُس هُنا أيضاً أنَّهُ عندما يُعلِنُ اللهُ الإستِحقاق لخُطاةٍ يتمتَّعُونَ بالقَليلِ جدَّاً منَ الإستِحقاقِ الذَّاتِي، يَكُونُ الشَّيطانُ مُستَعِدَّاً لإعلانِ حقيقَةٍ مُناقِضَة لهذه – "عدَم الإستِحقاق ولا الجدارة." قد يَكُونُ هذا تطبيقاً بدلَ أن يَكُونَ تفسيراً، ولكن تأمَّلُوا بهذا العدد في المَرَّةِ التَّالِية التي تَشعُرُونَ فيها بالإدانَة، أو إذا قالَ لكُم أحَدُهُم أنَّكُم غَيرُ مُستَحِقِّين. تَذَكَّروا بأن تُقاوِمُوا المُشتَكي عندما تَذكُرُونَ وتُؤَكِّدُونَ الأخبارَ السَّارَّةَ أنَّ اللهَ نفسَهُ أعلَنَ إستِحقاقَكُم. الرُّوحُ القُدُسُ سوفَ يشهَدُ عندَها لأرواحِكُم أنَّكُم أولادُ اللهِ، وأنَّكُم مُستَحِقُّون.

إستِحقاقُكُم مضمُونٌ لأنَّهُ لَيسَ مَبنِيَّاً على قُدرَتِكُم على النَّجاح وعدَمِ السُّقُوط بتاتاً. هذا الإستِحقاقُ المُعلَن، مثل محبَّة المسيح غير المَشرُوطَة، لا يُكتَسَبُ بالأداءِ الإيجابِيّ، ولا يُفقَدُ بالأداءِ السَّلبِيّ. هذا ما تَعنيهِ نعمَةُ اللهِ ورحمَةُ اللهِ بأنَّهُ يُوجَدُ غُفرانٌ عندَ السُّقُوط. فاللهُ هُوَ الذي يُبَرِّر.

سُؤالُهُ السَّادِسُ وجوابُهُ على ذلكَ السُّؤال ينبَغي أن يُوفِّرَ تعزِيَةً كبيرَة لنا جميعاً. "من سَيفصِلُنا عن محبَّةِ المسيح؟" يُمَثِّلُ سُؤالُهُ السَّابِع لائِحَةً من تلكَ الأشياء التي نعتَقِدُ أنَّهُ بإمكانِها أن تفصِلَنا عن محبَّةِ رَبِّنا يسُوع المسيح الحَيّ المُقام منَ الموت. تأتي التَّعزِيَةُ عندما يُخبِرُنا بُولُس الرَّسُول أنَّهُ ولا شَيء من هذه الأشياء يُمكِنُ أن يفصِلَنا عن محبَّةِ الله في المسيح يسُوع رَبِّنا.

الحياةُ صَعبَةٌ! ولقد كانَ يسُوعُ والرَّسُولُ بُولُس واقِعيَّانِ إلى أبعَدِ الحُدُود عن الضِّيق أو الألم الذي ينتُجُ عن إتِّباعِ المسيح الذي هُوَ مكروهٌ جدَّاً في هذا العالم (يُوحَنَّا ١٦: ٣٣؛ أعمال ١٤: ٦- ٢٢). يَذكُرُ بُولُس الكثيرَ من هذه التَّحدِّياتِ الرَّهيبَة التي واجَهَها ويُواجِهها اليَوم تلاميذُ يسُوع المسيح. تحتَوي هذه اللائِحة على الضِّيق النَّاتِج عنِ الإضطِّهاد، إلى درجَةِ المَوتِ بالسَّيف. وجوابُهُ المُدهِش هُوَ أنَّهُ في هذه جميعِها يعظُمُ إنتِصارُنا، لأنَّ الحقيقَةَ هي أن لا شَيءَ يقدِرُ أن يفصِلَنا عن محبَّةِ الله!

يُخبِرُنا مَزمُورُ الرَّاعِي لداوُد أنَّ رحمَةَ أو محبَّةَ المسيح غير المَشرُوطَة، تتبَعُنا كُلَّ أيَّامِ حياتِنا، وتَكُونُ معنا في الحالَةِ الأبديَّة إلى أبدِ الآبدِين! (مَزمُور ٢٣: ٦). قد يكُونُ هذا ما قصدَهُ الرَّسُولُ بُولُس عندما أجابَ على سُؤالِهِ السَّابِع والأخير بالقَول: " فإنِّي مُتَيَقِّنٌ أنَّهُ لا مَوتَ ولا حياة، ولا ملائكَة ولا رُؤساء ولا قُوَّات ولا أُمُور حاضِرَة ولا مُستَقبَلَة. ولا عُلوَ ولا عُمقَ ولا خَليقَةَ أُخرى تَقدِرُ أن تفصِلَنا عن محبَّةِ اللهِ في المسيح يسُوع رَبِّنا." (رُومية ٨: ٣٨- ٣٩).

هذا هُوَ تصريح بُولُس العظيم والمُلَخَّص حيثُ يَصِلُ بنا إلى قمَّةٍ مجيدَة من أسمى مقاطِعِ العهدِ الجديد، الذي بدأَهُ في العددِ الثَّانِي من الإصحاحِ الخامِس. فلقد عبَّرَ بالتَّفصيل كيفَ أنَّ الخاطِئَ الشِّرِّير، الذي كانَ عَدُوّاً لله، ليسَ أنَّهُ يُعلَنُ مُستَحِقّاً وجديراً فحَسب، بل وأيضاً يُصبِحُ لدَيهِ وُصُولٌ إلى النِّعمَة التي تُمَكِّنُهُ من عيشِ حياةٍ تمُجِّدُ الله.

المِفتاحُ الخِتامِيُّ لإنتِصارِ الخاطِئ الذي أُعلِنَ مُبَرَّراً بالإيمان، هُوَ محبَّة اللهِ في المسيح يسُوع رَبِّنا. مِفتاحُ الإنتِصارِ لا يأتي من داخِلِنا بل منَ اللهِ في المسيح. هذا هُوَ أساسُ التَّأكيدِ الشَّديد لهذا الرَّسُول.

لا يُوجَدُ شَيءٌ جديدٌ في هذا التَّصريح الختامِيّ العَظيم لبُولُس. إنَّهُ مُجَرَّدُ خاتِمَةٍ مُوجَزَةٍ لكُلِّ ما كانَ يُعَلِّمُ بهِ. يُعلِنُ بُولُس أنَّهُ مُتيقِّنٌ أنَّ المَوتَ لن يفصِلَنا عن محبَّةِ المسيح. فلقد كتبَ للكُورنثِيِّينَ يَقُولُ أنَّ الغِيابَ عنِ الجَسد هُوَ حُضُورٌ عندَ الرَّبّ (٢كُورنثُوس ٥: ٦- ٨) ولقد أعلنَ للفيلبِّيين أنَّهُ بالنِّسبَةِ لهُ، الحياةُ هي المسيح، والمَوتُ هُوَ رِبحٌ، وأنَّهُ يُفضِّلُ أن يَمُوتَ ويكُونَ معَ المسيح (فيلبِّي ١: ٢٠- ٢٣). لذلكَ فالمَوتُ لن يَفصُلَنا ولن يفصُلَهُ عن محبَّةِ المسيح.

وهُوَ مُتَيَقِّنٌ أيضاً أن لا شَيءَ في هذه الحياة يقدِرُ أن يفصِلَنا عن محبَّةِ المسيح. فبُولُس كانَ عديمَ الخَوف بِوجهِ المَوت، لأنَّهُ آمنَ أنَّ الحياةَ بالنِّسبَةِ لهُ هي المسيح، والمَوتُ هُوَ رِبحٌ. لهذا فإنَّ تلاميذَ يسُوع المسيح الأتقياء، الذي يُؤمِنونَ حقّاً بِقِيَمِ الإنجيل الأبديَّة، ينبَغي أن لا يخافُوا أبداً منَ الموت.

ولكنَّ بعضَ المُؤمنين يخافُونَ الحياةَ أكثَر ممَّا يخافُونَ الموت. عندما نتمتَّعُ بِفَلسَفَةِ بُولُس عنِ الموت، لن نخافَ الموتَ لأنَّهُ رِبحٌ. وعلينا أيضاً

أن نُدرِكَ أنَّنا لا نحتاجُ أن نخافَ الحياةَ أيضاً، إن كُنَّا نتمتَّعُ بِفَلسَفَتِهِ في الحياة، لأنَّ الحياةَ هي المسيح. بِحَسَبِ بُولُس لا يُوجَدُ شَيءٌ في المَوتِ ولا في هذه الحياة الذي يُمكِنُ أن يفصِلَنا عن محبَّةِ اللهِ في المسيح.

لقد كانَ بُولُس مُقتَنِعاً، وعَلَّمَ أنَّهُ يُوجَدُ بُعدٌ رُوحِيٌّ في الحياة، حيثُ تُؤَثِّرُ الملائِكَة وما أسمَاهُ بُولُس القُوَّات والسَّلاطين، إيجابِيَّاً وسَلبِيَّاً على حياتِنا. فلقد كَتَبَ إلى أهلِ أَفَسُس: "فإنَّ مُصارَعَتنا لَيسَت معَ دَمٍ ولَحم، بل معَ الرُّؤساء معَ السَّلاطين معَ وُلاةِ هذا العالم، على ظُلمَةِ هذا الدَّهر، معَ أجنادِ الشَّرِّ الرُّوحِيَّةِ في السماويَّات." (أفسُس ٦: ١٢). لقد كانَ مُقتَنِعاً كُلِّيَّاً بأنَّهُ لا أحَد من هذه القُوَّات الرُّوحِيَّة بإمكانِهِ أن يَفصِلَنا عن محبَّةِ اللهِ في المسيح.

لا يُوجَدُ شَيءٌ في ظُرُوفِنا الحاضِرَة، ولن يُوجَدَ شَيءٌ في حياتِنا المُستَقبَلِيَّة، يُمكِنُ أن يفصِلَنا عن هذه المحبَّة. ثُمَّ يذكُرُ بُولُس العُلوَّ والعُمق. هذه إشارَةٌ إلى تعليمِ بُولُس أنَّ يسُوعَ صَعِدَ إلى العلاء، ونزلَ إلى أقسامِ الأرضِ السُّفلى، حَيثُ أطلقَ المأسُورينَ في الحُرِّيَّة، ووهبَ النَّاسَ عطايا (أفسُس ٤: ٨- ١٠).

إنَّ تشديدَ رِسالَةِ بُولُس للأفَسُسِيِّين يضعُ أمامَنا التَحدِّي لنَعيشَ في السَّماوِيَّات، أو في المُرتَفَعاتِ الرُّوحِيَّة حيثُ بإمكانِنا تملُّك كُلّ البَركات الرُّوحيَّة في المسيح (أفسُس ١: ٣). تطبيقٌ عمليٌّ وتعبُّدِيٌّ آخر هُوَ المُرتَفَعات والمُنخَفَضات التي نختَبِرُها في حياتِنا. الوعدُ هُوَ أنَّهُ لا يُوجَدُ مُرتَفَعٌ أو مُنخَفَضٌ رُوحِيٌّ، الذي يُمكِنُ أن يَفصِلَنا عن محبَّةِ المسيح.

إنَّ إعلانَهُ الأخير هُوَ أنَّ "لا خليقَةَ أُخرى" تقدِرُ أن تُحَقِّقَ هذا الإنفِصال. الكلماتُ الأصليَّة تُلَمِّحُ إلى أنَّهُ يقصُدُ "لا خلقَ آخَر." في القَرنِ الحادِي والعِشرين، نسمَعُ عن تَخمينات عن وُجُودِ حياةٍ على كواكِبَ أُخرى. منذُ مائة سنَة تقريباً، سُئِلَ أحدُ مشاهير عُلماءِ الكتابِ المُقدَّس، "إذا كانَت تُوجَدُ حياةٌ على المرِّيخ، فكيفَ سيخلُصُ سُكَّانُهُ؟" فأجابَ، "في البَدءِ خلقَ اللهُ السَّماءَ والمرِّيخ." ثُمَّ سيُخبِرُهُم الكتابُ المُقدَّسُ عن محبَّة وخلاص الله لأُولئكَ الذين يعيشُونَ على كَوكَبِ المرِّيخ.

كانَ بُولُس لَرُبَّما يُعلِنُ أنَّهُ إن كانت تُوجَدُ خليقَةٌ في مكانٍ ما في هذا العالم، لم يَعرِفْ عنها إلا القَليل، فتلكَ الخليقَة لن تقدِرَ على فصلِنا عن محبَّةِ الله في المسيحِ يسُوع.

تطبيقٌ شَخصِيّ

نحنُ خُطاةٌ غيرُ مُستَحقِّين، ولكن لدينا إستِحقاقٌ مُعلَنٌ بسببِ حياةِ وموتِ إبنِ الله. ولدينا وُصُولٌ إلى النِّعمَة التي تُمَكِّنُنا من العيشِ بإستِقامَةٍ وأن نُمَجِّدَ اللهَ الذي أعلَنَنا مُستَحِقِّين. أربعَةُ مُنتَصِرين يُظهِرُونَ للخُطاةِ المُبَرَّرِينَ كيفَ بإمكانِنا أن نملِكَ في الحياة. أربَعَةُ مبادِئ رُوحيَّة تُظهِرُ لنا كيفَ نُحَلِّقُ فوقَ نامُوسِ الخطيَّة وفوقَ عواقِبِهِ الوخيمة. ولدينا هذا الإعلانُ الجَليل عن تدخُّلِ اللهِ، الذي يعرِفُ ويُعَيِّنُ مُسبَقاً، يَدعُو، يُبَرِّرُ ويُمَجِّدُ الخُطاةَ غير المُستَحِقِّين، ليُصبِحُوا أعظَمَ من مُنتَصِرين في هذه الحياة وفي الدَّهرِ الآتي.

ثُمَّ يكتُبُ بُولُس أنَّهُ مُتيقِّنٌ أنَّ هذه اللائحة المُطَوَّلَة منَ المُعجِزات هي حقيقَةٌ مُطلَقَة! هل أنتَ مُتَيقِّنٌ من ذلكَ أيضاً؟ وهل أنتَ مُبَرَّرٌ بالإيمان، أم أنَّكَ لا تَزالُ تُحاوِلُ أن تُخَلِّصَ نفسَكَ بحفظِ النَّامُوس، الذي كانَ المقصُودُ منهُ أن يُحَطِّمَكَ، وأن يُغلِقَ فمَكَ، وأن يَدفَعَكَ لتعتَرِفَ بأنَّكَ تحتاجُ إلى مُخَلِّص ولا تستطيعُ أن تُخَلِّصَ نفسَكَ؟

هل أنتَ مُتَيَقِّنٌ أنَّ اللهَ الذي هُوَ مصدَرُ هذه المُعجِزة، سيَكُونُ أيضاً القُوَّة الكامنة خَلفَ هذه المُعجِزَة، وسوفَ يُكمِلُ العملَ الذي بدأَهُ عندما أعلَنَ أنَّكَ بارّ؟ إن كُنتَ كذلكَ، عليكَ أن تُؤمِنَ بما قرأتَهُ في الإصحاحاتِ الثَّمانِيَة الأُولى من هذه التُّحفَة اللاهُوتيَّة الرَّائِعَة. تجاوَبْ معَ دعوَةِ اللهِ هذه. تبرَّرْ بالإيمان. تمجَّدْ في هذه الحياة وفي الحياةِ الآتيَة.

أيُّها القارِئُ العَزيز، هذا ليس إلا الكُتَيِّب الثَّانِي من دراسَتِنا لرسالَةِ رُومية. إن كُنتَ لم تقرأْ بعد الكُتَيِّب الأوَّل، أُشَجِّعُكَ على أن تَكتُبَ إلينا وتطلُبَهُ منَّا، ولا تنسَ أن تطلُبَ الكُتَيِّب رقم ٣١، حيثُ سنُتابِعُ هذه الدِّراسَة الرَّائِعة. أيضاً، عندما تكتُبُ إلينا، نودُّ لو بإمكانِكَ أن تُخبِرَنا إن كُنتَ قد إختَبَرتَ الإيمانَ بالمسيح، أم ليسَ بعد. إن كُنتَ قد تبرَّرتَ بالإيمان، وإن كُنتَ قد وجدتَ النِّعمَةَ لتحيا العيشَ الصَّحيح، نَودُّ لو تُخبِرَنا كيفَ إستخدَمَ اللهُ هذه الدِّراساتِ من كلمتِهِ الحيَّة في حياتِكَ.

الخَطيَّة البَشَريَّة على البيئَة، بطُرُقٍ كثيرَةٍ مُتَنَوِّعَةٍ اليوم. فالطَّمَعُ البَشَرِيُّ يُلَوِّثُ مِياهَنا والهواءَ الذي نتنفَّسُهُ والطَّعام الذي نأكُلُهُ.

بِحَسَبِ وقائِعِ الخلق، تأثَّرَ هذا الخَلقُ ديناميكيَّاً بِسُقُوطِ الإنسان. هذه الأعدادُ تَقُولُ بِبَساطَةٍ أنَّهُ عندما يكتَمِلُ فداءُ الإنسان، سيكُونُ هُناكَ فداءٌ نِهائِيٌّ وكامِلٌ لهذا العالم. فعندما نُفدَى، نُصبِحُ خلائِقَ جديدَة. ولقد علَّمنا بُولُس في هذه الرِّسالَة أنَّ إنسانَنا العَتيق ينبَغي أن يَمُوتَ، لكَي تبدَأَ حياتُنا الجديدة. يُعَلِّمُنا الكتابُ المُقدَّسُ أنَّهُ يوماً ما، سوفَ يخلُقُ اللهُ سماءً جديدَةً وأرضاً جديدَةً يسكُنُ فيها البِرّ. (٢بُطرُس ٣: ١٣)

يُخبِرُنا بُولُس هُنا في الإصحاحِ الثَّامِن من رسالَتِهِ إلى أهلِ رُومية، أنَّ الخليقَةَ الحاضِرَة تَئِنُّ وتَتَمخَّضُ للوُصُولِ إلى الخليقَةِ الجديدة. "وليسَ هكذا فقط بل نحنُ الذين لنا باكُورَة الرُّوح، نحنُ أنفُسُنا أيضاً نَئِنُّ في أنفُسِنا مُتَوقِّعِينَ التَّبَنِّي فِداءَ أجسادِنا. لأنَّنا بالرَّجاءِ خَلَصنا. ولكنَّ الرَّجاءَ المَنظُورَ ليسَ رَجاءً. لأنَّ ما ينظُرُهُ أحدٌ كيفَ يرجُوهُ أيضاً. ولكن إن كُنَّا نرجُو ما لَسنا ننظُرُهُ فإنَّنا نتوقَّعُهُ بالصَّبر." (رُومية ٨: ٢٣- ٢٥).

هُنا يرجِعُ بُولُس إلى مَوضُوع فدائِنا النِّهائي والكامِل. وهُوَ يكتُبُ قائِلاً أنَّنا نخلُصُ برجاءِ قيامَةِ الأجساد. وهُوَ يقصُدُ أنَّنا بِمعنىً ما لن يكتَمِلَ فداؤُنا نِهائِيَّاً، إلى أن نَقُومَ ونَصِلَ إلى الحالَةِ الأبديَّة. فالأشخاصُ الأتقِياءُ يمُوتُونَ، ونحنُ نتساءَلُ غالِباً لماذا لم يُشفَوا؟

نَجِدُ الجوابَ جُزئِيَّاً في هذه الأعداد. فتماماً كما أنَّ فِداءَهُم لن يكتَمِلَ نهائِيَّاً إلى أن يَصلُوا إلى الأبديَّة، فإنَّ شِفاءَهُم أيضاً لن يكتَمِلَ إلى أن يَقُوموا ويَصِلُوا إلى السماء. عندما يُعطيهِم اللهُ الجسدَ الرُّوحِيَّ الذي سيُمَكِّنُهُم منَ العَيشِ في السَّماء، فإنَّ شِفاءَهُم وفداءَهُم سيَكتَمِلانِ تماماً.

صَلِّ على أيَّةِ حال

"وكذلكَ الرُّوحُ أيضاً يُعِينُ ضَعَفاتِنا. لأنَّنا لسنا نعلَمُ ما نُصَلِّي لأجلِهِ كما يَنبَغي، ولكنَّ الرُّوحَ نفسَهُ يشفَعُ فينا بأنَّاتٍ لا يُنطَقُ بها. ولكنَّ الذي يفحَصُ القُلُوبَ يعلَمُ ما هُوَ إهتِمامُ الرُّوح. لأنَّهُ بِحَسَبِ مَشيئَةِ اللهِ يشفَعُ في القِدِّيسين." (رُومية ٨: ٢٦- ٢٧).

المُعجِزِيّ هذا، هُو أشبَهُ بالجِهازِ التَّنَفُّسِيّ الثَّانِي عندَ اليَعسُوب، الذي يَرمُزُ إلى الجسد الرُّوحي الذي سيُعطيهِ اللهُ لِكُلِّ المُؤمنين، والذي سيُمَكِّنُهُم منَ العَيشِ إلى الأبد.

اليَعسُوبُ هُوَ مُعجِزَةٌ في الطَّيرانِ النَّفَّاث في مجالِ حياتِهِ الثَّانِيَة. عندما يَقُومُ المُؤمِنُونَ منَ المَوت، وعندما يُعطينا اللهُ أجساداً رُوحيَّةً تُؤَهِّلُنا للبُعدِ الثَّانِي والأبديّ من حياتِنا، تصَوَّرُوا كيفَ سنَكُون!

قرابَةَ نهايَةِ العهدِ الجديد، في رِسالَةِ يُوحَنَّا الأُولى، يتأمَّلُ هذا الشَّيخُ والقائِدُ المُسِنّ، الرَّسُولُ يُوحَنَّا حولَ من وماذا نكُونُ الآنَ كمُؤمِنين ومن وماذا سنكُونُ في المُستَقبَل. وهُوَ يُخبِرُنا بأنَّ ما سنَكُونُهُ لم يُعلَنْ بَعد، ولكنَّهُ سيَكُونُ رائِعاً يَفُوقُ كُلّ ما يُمكِنُنا أن نتخيَّلَهُ، لأنَّهُ في السَّماء، سوفَ نَكُونُ تماماً كما هُوَ المسيحُ الحَيُّ المقامُ الآن (١يُوحَنَّا ٣: ١، ٢)!

يَكتُبُ بُولُس بِطَريقَةٍ جميلَة أنَّ الخليقَةَ بأسرِها تتطلَّعُ بِشَوقٍ لتنظُرَ المُعجِزَةَ المجيدة عنِ الحالَةِ التي سنَكُونُ عليها. قِيلَ لي أنَّ التَّقَدُّمَ بالسِّنّ هُوَ ليسَ للجُبناء. فبَينما تختَبِرُ التَّقَدُّمَ بالسِّنّ، أو بينما تُلاحِظُ تلكَ العَمَلِيَّةَ في أُولئِكَ الذين تعرِفُهُم وتُحِبُّهُم، لا تَنسَ أبداً أنَّ الجَسَدَ ليسَ إلا "ثوباً أرضِيّاً" للمُؤمن. فاللهُ يمنَحُنا جسداً يُمَكِّنُنا منَ العَيشِ هُنا على الأرض. واللهُ سوفَ يمنحُ كُلَّ تلميذٍ ليسُوع المسيح جسداً رُوحانِيّاً، سيُؤَهِّلُنا للعَيشِ في السماء، عندما يَتِمُّ إستِعلانُنا كأبناءِ الله.

هذانِ العَدَدانِ اللذانِ يَربِطانِ بينَ نُمُوِّنا وإنتِصارِنا وبينَ الألَم والحالَةِ الأبديَّة، تَتبَعُهُما أعدادٌ عَميقَةٌ تُخبِرُنا بِبَعضِ الحقائِقِ المُدهِشَة عن هذا العالم الذي خلَقَهُ هذا العالَم ويحفَظُهُ. فأبناءُ اللهِ ليسُوا خليقَةَ اللهِ الوحيدة التي تحتاجُ عملَ اللهِ الخلاق المُستَمِرّ: "إذ أُخضِعَتِ الخَليقَةُ لِلبُطلِ، ليسَ طَوعاً بَل من أجلِ الذي أخضَعَها على الرَّجاء. لأنَّ الخَليقَةَ نفسَها أيضاً ستُعتَقُ من عُبُوديَّةِ الفَسَادِ إلى حُرِّيَّةِ مَجدِ أولادِ الله. فإنَّنا نعلَمُ أنَّ كُلَّ الخَليقَةِ تَئِنُّ وتَتَمخَّضُ معاً إلى الآن." (رومية ٨: ٢٠- ٢٢)

لِكَي نُتَرجِمَ هذه الأعداد الثَّلاثَة، علينا أن نفهَمَ سُقُوطَ الجنسِ البَشَريّ، كما هُوَ مَوصُوفٌ في الإصحاحاتِ الأُولى من سفرِ التَّكوين، وفي الإصحاحِ الأوَّلِ من هذه الرِّسالَة التي كتبَها بُولُس إلى أهلِ رُومية. عندما يُخطِئُ الإنسانُ، يَتَلَطَّخُ كُلُّ ما يَلمَسُهُ الإنسانُ بخَطِيَّتِهِ هذه. نحنُ نرى نتائِج

الخَطيَّة البَشَريَّة على البيئَة، بطُرُقٍ كثيرَةٍ مُتَنَوِّعَةٍ اليوم. فالطَّمَعُ البَشَرِيُّ يُلَوِّثُ مِياهَنا والهواءَ الذي نتنفَّسُهُ والطَّعام الذي نأكُلُهُ.

بِحَسَبِ وقائِعِ الخلق، تأثَّرَ هذا الخَلقُ ديناميكيَّاً بِسُقُوطِ الإنسان. هذه الأعدادُ تَقُولُ بِبَساطَةٍ أنَّهُ عندما يكتَمِلُ فداءُ الإنسان، سيكُونُ هُناكَ فداءٌ نِهائِيٌّ وكامِلٌ لهذا العالم. فعندما نُفدَى، نُصبِحُ خلائِقَ جديدَة. ولقد علَّمنا بُولُس في هذه الرِّسالَة أنَّ إنسانَنا العَتيق ينبَغي أن يَمُوتَ، لكَي تبدَأَ حياتُنا الجديدة. يُعَلِّمُنا الكتابُ المُقدَّسُ أنَّهُ يوماً ما، سوفَ يخلُقُ اللهُ سماءً جديدَةً وأرضاً جديدَةً يسكُنُ فيها البِرّ. (٢بُطرُس ٣: ١٣)

يُخبِرُنا بُولُس هُنا في الإصحاحِ الثَّامِن من رسالَتِهِ إلى أهلِ رُومية، أنَّ الخليقَةَ الحاضِرَة تَئِنُّ وتَتَمخَّضُ للوُصُولِ إلى الخليقَةِ الجديدة. "وليسَ هكذا فقط بل نحنُ الذين لنا باكُورَة الرُّوح، نحنُ أنفُسُنا أيضاً نَئِنُّ في أنفُسِنا مُتَوقِّعِينَ التَّبَنِّي فِداءَ أجسادِنا. لأنَّنا بالرَّجاءِ خَلَصنا. ولكنَّ الرَّجاءَ المَنظُورَ ليسَ رَجاءً. لأنَّ ما ينظُرُهُ أحدٌ كيفَ يرجُوهُ أيضاً. ولكن إن كُنَّا نرجُو ما لَسنا ننظُرُهُ فإنَّنا نتوقَّعُهُ بالصَّبر." (رُومية ٨: ٢٣- ٢٥).

هُنا يرجِعُ بُولُس إلى مَوضُوع فدائِنا النِّهائي والكامِل. وهُوَ يكتُبُ قائِلاً أنَّنا نخلُصُ برجاءِ قيامَةِ الأجساد. وهُوَ يقصُدُ أنَّنا بِمعنىً ما لن يكتَمِلَ فداؤُنا نِهائِيَّاً، إلى أن نَقُومَ ونَصِلَ إلى الحالَةِ الأبديَّة. فالأشخاصُ الأتقِياءُ يمُوتُونَ، ونحنُ نتساءَلُ غالِباً لماذا لم يُشفَوا؟

نَجِدُ الجوابَ جُزئِيَّاً في هذه الأعداد. فتماماً كما أنَّ فِداءَهُم لن يكتَمِلَ نهائِيَّاً إلى أن يَصلُوا إلى الأبديَّة، فإنَّ شِفاءَهُم أيضاً لن يكتَمِلَ إلى أن يَقُوموا ويَصِلُوا إلى السماء. عندما يُعطيهِم اللهُ الجسدَ الرُّوحِيَّ الذي سيُمَكِّنُهُم منَ العَيشِ في السَّماء، فإنَّ شِفاءَهُم وفداءَهُم سيَكتَمِلانِ تماماً.

صَلِّ على أيَّةِ حال

"وكذلكَ الرُّوحُ أيضاً يُعِينُ ضَعَفاتِنا. لأنَّنا لسنا نعلَمُ ما نُصَلِّي لأجلِهِ كما يَنبَغي، ولكنَّ الرُّوحَ نفسَهُ يشفَعُ فينا بأنَّاتٍ لا يُنطَقُ بها. ولكنَّ الذي يفحَصُ القُلُوبَ يعلَمُ ما هُوَ إهتِمامُ الرُّوح. لأنَّهُ بِحَسَبِ مَشيئَةِ اللهِ يشفَعُ في القِدِّيسين." (رُومية ٨: ٢٦- ٢٧).

الخدمة العربية للكرازة بالإنجيل هي هيئة إرسالية مسيحية شغفها نشر كلمة الله في العالم العربي عبر الإنترنت وعبر وسائل إلكترونية أخرى. وتقوم بتوزيع الكتاب المقدس مجاناً للجالية العربية في أميركا الشمالية والقطر العربي وبلدان العالم. بالإضافة إلى مجموعة من الأقراص المضغوطة التي تحتوي على كتب روحية، عظات، تراتيل والكتاب المقدس.

لمزيد من المعلومات الرجاء الإتصال بنا.

يحفظكم الله ويملأ حياتكم بالصحة والسعادة والسلام.

أسرة الخدمة العربية للكرازة بالإنجيل